المجلد ٣٨ – العدد ٧

جمادي الأولى والثانية ١٤٤٧هـ، تشرين الثاني– نوفمبر / ٢٠٢٥

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشرف الموقع

نفيس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية،
تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.

إخـــلاء المســـؤولية: تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

المحتويات

نوفمبر 2025 | المجلد 38 | العدد 7

جمادى الأولى والثانية 1447 هـ / تشرين الثاني - نوفمبر 2025

2 | **كلمة التقوى**
تكذيب الضرب بقيامة أفريقيا

4 | **في رحاب القرآن**
صفةُ أهلِ الجنة، كلامُهم وسماعُهم ورزقُهم

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
شهادة خاتم النبيين ﷺ على استمرارية الوحي في أمته

9 **هكذا تكلم المسيح الموعود**
أعظم الكرامات استجابة الدعوات

10 | **الفتوحات العمرية ودور الخليفة عمر ﷺ المحوري فيها** خطبة الجمعة ٧/ ٤ /٢٠٢٣

22 | **الذبابة المنزلية، حشرة مزعجة ونبوءة معجزة**
د. أحمد وائل

26 | **منهج القرآن الكريم في حماية الهوية الروحية في خضم دعاوى الاندماج** د. ريهام سنون

30 | **"تمبكتو" واحة العلم ولؤلؤة الصحراء**
د. منى محمد

34 | **قراءة في كتاب "أوكلما اشتهيت اشتريت "**
أمل عبد الجليل

مراجعة النفس، القيامة، البعث، النهوض.. كلها تعابير تدور حول المحور ذاته، وهذا العدد من التقوى يسير في سياق متصل، حيث يُفتَتَح بالحديث عن نبوءة نهوض الشعوب المستضعفة.

تكذيب الغرب بقيامة أفريقيا

العالم اليوم ترتعد أوصاله فرقًا من تكرار مشهد الحرب العالمية بنسختها الثالثة ذات الترقية الشاملة في شتى المجالات، الاقتصادية والعلمية، والفنية، وغيرها. وفي خضم الأحداث الراهنة بين يدي المواجهة المسلحة التي باتت وشيكة بين معسكري يأجوج ومأجوج، المواجهة التي اطلعنا على جانب لا بأس به من تحقق النبأ بشأنها في قول الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا.﴾[1]، فإن أكثر ما يثير رعب العالم ويقض مضجعه، حرصه الشديد على ما أحرزه من رُقِيّ ورَفَاهٍ مادي ملموس على مدى ثمانية عقود تقريبًا.

ومنذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥م، قُدّر للعالم أن يخطو خطواتٍ واسعةً في شتى ميادين العلم والمعرفة والفكر، بحيث إنه بعملية مقارنة بسيطة بين نمط الحياة الحالي ونمط الحياة الذي كان سائدا فيما قبلها ستكون كافية لإراءة البون الشاسع والتطور العظيم الذي تحقق للإنسانية، يكفي على سبيل التمثيل أن أطفالنا لا يكادون يصدقون أننا كنا نستعمل هواتف ثابتة وثقيلة نسبيا لإجراء اتصالاتنا، حين لم تكن الهواتف الخلوية قد ظهرت بعد!

فالرعب العالمي، والغربي بوجه خاص، يعزى إلى الحرص على ما حققه ذلك الغرب من رقي حضاري مادي طوال تلك القرون، بعيدا عن قضية من أين له بالموارد التي أتاحت له ذلك الرقي، وأن تلك الموارد هي خيرات الشعوب المُستَعمَرة المستنزَفة، حتى إن مقولة «تأكل خيري وتجحد شكري» لتنطبق تماما على الغرب الذي طالما استنزف خيرات شعوب أفريقيا وآسيا، ثم رفع عقيرته بمناهضة مهاجريها ولاجئيها والنازحين منها!

إن الحرب، أية حرب، بغيضة وقبيحة ولا شك، بيد أن نظرة العالم إلى الحروب التي تأجج أُوارها مؤخرا في اليمن وسوريا وغزة وأوكرانيا والسودان أماطت اللثام عن وجه أكثر قبحا، إنه عنصرية مُحْدَثَة تُعرّي كل ادعاءات الغرب وتبجحاته بدعوى حقوق الإنسان، حين وصف اليمين الأوربي اللاجئين الأوكران باللاجئين من نوعية عالية، والبيض أصحاب الأعين الزرق، في مقارنة بغيضة وظالمة مع اللاجئين النازحين من قِبَل الجنوب والشرق.

إن تصريحات الساعة والمحللين تجعل المُشَاهِدَ والمُجتمَع على يقين من أن العالم، على الرغم من رقيه المادي، يعاني انتكاسة أخلاقية وروحية كبيرة، بحيث صار كمن يرتدي أفخر الثياب على جسدٍ نَتِنٍ! حتى إنه لم يعد من المستبَعَد لدى المتدين التقليدي أن الساعة باتت وشيكة وتطرق الأبواب، باعتبار الفهم السائد للحديث النبوي: «لا يَزدادُ الأمْرُ إلَّا شِدَّةً، ولا الدُّنيا إلَّا إدبارًا، ولا الناسُ إلَّا شُحًّا، ولا تَقومُ الساعةُ إلَّا على شِرارِ الناسِ»[2].. وحين نتحدث عن قيام الساعة، بحسب الفهم السلبي الذي يتداوله التقليديون، من أنها لحظة دمار العالم، نقول، على سبيل السخرية طبعًا، إن هذه اللحظة تبدو بعيدة جدًّا، حيث إن الساعة لا تقوم إلا وقد بلغت الأرض أوج تقدمها وزينتها، أما وأن العنصرية عادت لتطل برأسها الآن، في نكسة روحية فاضحة، فالساعة إذن ما تزال بعيدة! إن هذا ما قد يتوهمه البعض، علمًا أن الساعة، التي يتصورونها، لن تأتيهم إلا بغتة، وتلك البغتة متمثلة في صحوة غير متوقعة

للشعوب المقهورة والرازحة تحت نير التوسع الإمبريالي قرونا طويلة. ويأتي على رأس قائمة تلك الشعوب المقهورة شعوب القارة السمراء، أفريقيا، التي كانت، ولم تزل، سُوقًا يروِّج فيه أتباع مختلف الأديان لبضاعتهم منذ وقت بعيد، فقامت البعثات التنصيرية بهذا الدور خدمة لأهداف استعمارية واضحة، حتى إن مقولة الزعيم الأفريقي «جومو كينياتا» مؤسس كينيا الحديثة تعبِّر أبلغ تعبير عن ذلك الواقع، حيث قال: «حين جاء المبشرّون إلى أرضنا، كانوا يحملون بأيديهم الكتاب المقدس، ونحن كنا نملك الأرض، مرت سنوات، علمونا خلالها كيف نصلي بأعين مغلقة، وعندما فتحنا أعيننا، كنا نحمل الكتاب المقدس، بينما استولوا هم على الأرض!». ولكننا حين ننظر إلى الواقع الأفريقي بأعين إسلامية نرى العكس تماما، فقد تقبَّل الأفارقة منذ قرون مديدة القيم الإسلامية وتصبغوا بها، وفي المقابل، لم يَمْحُ الإسلام الهوية الأفريقية، بل حافظ عليها وأظهر أجمل ما فيها، فبينما دأب المنصِّرون على محو الطابع والهوية الأفريقية، منح الإسلام أفريقيا طابعها الخاص، تماما كما فعل في كل البلدان المفتوحة، فعرفنا سلطنات إسلامية ذات نمط أفريقي فريد في تمبكتو، وفي نيجيريا، وفي زنجبار، وفي كينيا، وفي تنزانيا، وغيرها.

وفي هذا العدد من مجلة التقوى، يُحتفى بالقارة السمراء من أوجه شتى، منها العهد السعيد الذي أشرقت فيه على وجه أفريقيا شمس الإسلام، وكان ذلك عهد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، حيث انطلقت جحافل فتوحات الإسلام تجوب شطرها الشمالي، منشئةً حواضر عظيمة، كالقيروان، وفاس، ومراكش، والرباط، وزاويلة، وغدامس، وورقلة، وتوات، وسلجماسة، وتلمسان، وأوداغست، وغيرها من المدن التي كان لها تأثيرها الثقافي على دول السودان الغربي [٣]. ومن تلك الحواضر ما مثَّل مركز إشعاع حضاري عالمي كالقيروان وفاس، التي أنشئت

على أرضها أعرق جامعة تزاول نشاطها التعليمي دون انقطاع منذ تدشينها وفقًا للمنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو). ومنذ وطأت قدما الإسلام أرض أفريقيا، وتلك القارة ترسم ملامح هويتها التي سرقها لصوص الموارد والسياسة والفكر فيما بعد، بيد أن صحوة القارة السمراء باتت قريبة جدا، وهي الصحوة التي طالما كذَّب بها المستعمر الأوربي، في مشهد تحكيه آيات القرآن بأسلوب دراماتيكي بديع جاء فيه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[٤].

الهوامش

١. (الكهف: ١٠٠)
٢. حلية الأولياء الصفحة أو الرقم: ١٧٢/٩
٣. أحمد محمد أحمد إسماعيل، الحواضر الإسلامية في إفريقيا... كيف نشأت وتطورت؟!، مجلة قراءات أفريقية، عدد ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٤م.
٤. (الأنبياء: ٣٩-٤١)

صفةُ أهلِ الجنة، كلامُهم وسماعُهم ورزقُهم

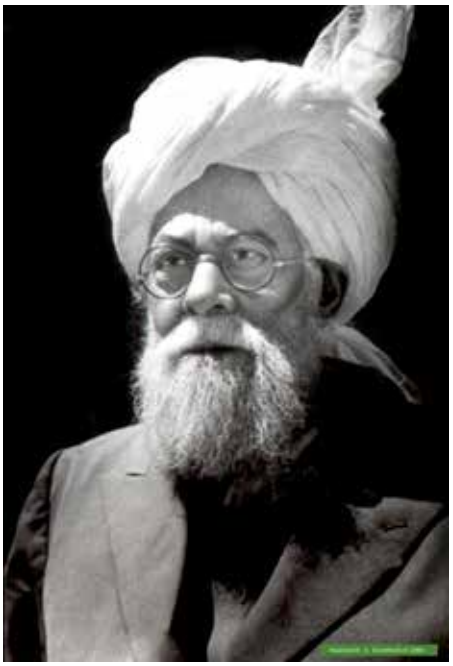

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٣﴾

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٤﴾

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٥﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا *﴾ (مريم ٦٣-٦٤)

التفسير:

يمكن أن تكون كلمة ﴿إلا سلامًا﴾ في قوله تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا﴾ استثناء متصلاً، وقد يكون استثناء منقطعًا. فإذا كان استثناء متصلاً فالمعنى أنه إذا كان في الجنة شيء من فضول الكلام مما لا يُعتدّ به فأيضًا يكون سلامًا. ذلك أن اللغو يعني ما لا يُعتد به (المفردات). فمثلاً لو بيّنتَ شيئًا في دقيقتين في حين أنك تستطيع بيانه في دقيقة واحدة، فالكلام الزائد الذي استغرق دقيقة زائدة يُعَدّ لغوًا. فلقد وجدتُ أن بعض الناس يأتي لمقابلتي، فيبدأ في بيان قصة كلها لغو ولا علاقة له مطلقًا بغايته الأساسية. فيقول مثلاً هناك صديق حميم لي في مدينة «دلهي»، وذهبت لزيارته قبل أيام، وقد دار بيننا كذا وكذا من الأمور. ثم حصل الشجار بيني وبين فلان، فاضطررتُ للمجيء إلى مدينة لاهور، وقابلت هناك فلانًا وفلانًا. ثم جئتُ هنا لبعض حاجاتي، ففكرت أن أزور حضرتكم أيضًا. وهكذا يحكي قصة طويلة لا علاقة لها بقصده الحقيقي. فثبت بذلك أن المرء يتكلم بكلام زائد حتى في حديثه عن بعض الأمور الهامة أيضًا. ولذلك يقول الله تعالى هنا ﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾.

وقد يقول هنا قائل: لنفترض أن أحدًا يتحدث في الجنة بكلام لغو، فماذا إذًا؟ وردًّا على هذا الافتراض قال الله تعالى ﴿إلا سلامًا﴾.. أي لو سلّمنا جدلاً أن أحدًا سيتفوه في الجنات بلغوٍ من الكلام فلن يكون حتى لغوه شرًّا بل يكون

... كيف يمكن أن يأكل المرء في كل وقت؟ والجواب أن الرزق يعني الشيء الموهوب، وذلك الشيء الذي يُعطَونه في الجنة كل حين هو رؤية الله وكلامه، وهما ليس مما يصيب المرء بالتخمة....الله تعالى لم يقل هنا «ولهم الرزق»، بل قال تعالى ﴿ولهم رزقُهم﴾.. أي أنهم يُعطَون رزقًا ملائمًا لهم. فثبت أن الرزق لا يعني هنا الطعام فقط، بل رزقًا يناسب حالهم، ولن يعطوه صباحًا ومساء، بل سيُمَدّون به كل حين وآن.

سلامًا وخيرًا. وبتعبير آخر، أنه إذا خرج من فم أحد في الجنة كلام زائد فلن يكون إلا كلمة سلام فقط.

أما إذا كان الاستثناء هنا منقطعًا فالمعنى أنه لن يقترب من أهل الجنة اللغو أبدًا، بل سيتكلمون في كل مكان بما فيه سلام، لأنهم يكونون عند الله الذي هو السلام، وفي دار هي السلام، وبين الملائكة الذين يقولون لهم سلامًا سلامًا.

وثمة أمر آخر قد نبّهتْ إليه هذه الآية، وهو أن الله تعالى لا يقول هنا أنهم في الجنة لن يأتوا اللغو من الأعمال، إنما يقول إنهم لن يسمعوا اللغو من الكلام. ذلك لأن الإنسان يحسن الظن حين يخص الأمر بنفسه، أما فيما يتعلق بالآخرين فإنه توّاقٌ إلى سماع عيوبهم وإشاعتها. ولكن الله تعالى يخبر هنا أن أهل الجنة سيتبوءون من الصلاح والتقوى درجة بحيث لن يسيء أحد الظن بغيره. والمكان الذي لا يحتمل الواحد من سكانه أن يسمع شيئًا من الكلام السيئ عن غيره لا بد أن يكون مقامًا عاليًا في الصلاح والخير.

أما قول الله تعالى ﴿ولهم رزقُهم فيها بُكرةً وعشيًّا﴾، فقد قال البعض أن معناه أن أهل الجنة لن يُعطَوا إلا وجبتين: وجبة في الصباح وأخرى في المساء، لأن الله تعالى قد نهى عن الإسراف! ولكن هذا غلط، لأن البكرة والعشي لها مفهوم أوسع من ذلك، إذ لا يعني لفظ البكرة الصباح فحسب، بل يعني أول النهار أيضًا (لسان العرب). كما أن العشي لا يعني المساء فقط، بل يعني أيضًا ما بين زوال الشمس إلى الصباح (الأقرب). فالمعنى أنهم سيُعطَون رزقهم كل حين.

وقد يقول هنا قائل: كيف يمكن أن يأكل المرء في كل وقت؟ والجواب أن الرزق يعني الشيء الموهوب، وذلك الشيء الذي يُعطَونه في الجنة كل حين هو رؤية الله وكلامه، وهما ليس مما يصيب المرء بالتخمة.

ثم يجب أن يؤخذ في الحسبان أن الله تعالى لم يقل هنا «ولهم الرزق»، بل قال تعالى ﴿ولهم رزقُهم﴾.. أي أنهم يُعطَون رزقًا ملائمًا لهم. فثبت أن الرزق لا يعني هنا الطعام فقط، بل رزقًا يناسب حالهم، ولن يعطوه صباحًا ومساء، بل سيُمَدّون به كل حين وآن.

ثم قال ﴿تلك الجنة التي نُورثُ مِن عبادنا مَن كان تقيًّا﴾.. أي أن تلك هي الجنة التي سنجعل عبادنا المتقين وَرَثةً لها.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم ٦٥)

التفسير:

يقول المفسرون في شأن نزول هذه الآية أن النبي ﷺ سُئل

عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فوعد بالإجابة عن قريب، ولكن جبريل تأخر عنه بالوحي، فوقع ﷺ في ابتلاء كبير. ولما نزل جبريل بعد فترة، اشتكى إليه النبي ﷺ وقال: يا صاحِ، لم احتبستَ عني؟ قال: إنما نأتي حين يأمرنا ربك، ولا نأتيكَ حين لا يأمرنا (روح المعاني).

بغض النظر عن صحة هذه الرواية أو خطئها، فهناك سؤال يطرح نفسه: ما هي علاقة هذا الحادث بالسياق؟ فالله تعالى يبين هنا أن عيسى كان عبدًا مقربًا لنا، ولكنه لم يكن إلهًا ولا ابن إله. لقد خلا من قبله كثير من الرسل الذين كانوا مثله. ثم إنه لم يكن إلا حلقة من السلسلة الروحانية التي بدأت في نسل إسحاق. فكيف يمكنكم، أيها المسيحيون، أن تعتبروه آخر مخلّص ظهر في الدنيا؟ إن زعمكم يعني أن جميع الوعود التي قطع الله تعالى في حق إسماعيل كانت باطلة. ثم يوضح الله تعالى أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس كلهم كانوا من عبادنا المصطفين الأخيار، وكانوا بحاجة إلى جناتنا. وكان عيسى أيضًا بحاجة إلى جنتنا.

وفي هذا السياق يزعم المفسرون أن الملائكة قالت للنبي ﷺ إنما نتنزل بأمر الله تعالى، فإذا لم يأمرنا بالنزول فما ذنبنا في ذلك؟ ولكن هذا المعنى لا ينسجم مع السياق مطلقًا. والحق أن هؤلاء المفسرين لو تدبروا القرآن الكريم، واستعانوا بالله تعالى بالدعاء، ولم يتأثروا بالقصص التافهة، لهداهم الله إلى الحقيقة، وحماهم من هذه الأخطاء الفادحة. ولكن المشكلة أنهم بدلاً من أن يتدبروا في القرآن اختاروا القصص والأساطير، فضلُّوا عن الحقيقة ضلالاً بعيدًا.

إنني لما أردت إلقاء الدرس في تفسير سورة الكهف، تدبرت فيها، ففهمت موضوع السورة كلها إلا آية واحدة منها. فأمعنت النظر فيها طويلاً، ولكن ظل الإشكال كما هو، وفشلت في فهم ارتباطها بالسياق. وأخيراً بدأت في إلقاء الدرس، وكلما اقتربت من تلك الآية ازددت قلقًا وقلت في نفسي ماذا سأقول حولها. حتى إذا بقيتْ دونها آيتان أو ثلاث بلغ بي الخوف الذروة. ولكني ما إن وصلتُ إلى الآية التي قبلها حتى بدا لي أن تلك الآية قد صارت لي جلية المعنى، ولم يبق هناك غموض فيها ولا إشكال... وأبين لكم الآن كيف أن مفهوم هذه الآية سهل الفهم بسيط، ولكن المفسرين جعلوه لا ينسجم مع السياق مطلقًا. لقد قال الله تعالى في الآية السابقة ﴿لا يسمعون فيها لغوًا إلا سلامًا﴾.. أي أن اللغو لن يقترب من أهل الجنة أبدًا، وإنما يجدون السلام في كل مكان. والجميع يعرف أن المراد من السلام هو السلام عليكم. فالآية تعني أن أهل الجنة سيتلقون السلام بكثرة، ولكن لم يوضَّح هنا من ذا الذي سيبعث لهم هذا السلام.

وعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد هذا الأمر مشروحًا في مواضع أخرى منه. قال الله تعالى عن أهل الجنة ﴿ويُلقَّون فيها تحيَّةً وسلامًا﴾(الفرقان: ٧٦). فهذه الآية تذكر الموضوع السابق نفسه ولكن بأسلوب آخر.

وقد قال الله تعالى عن أهل الجنة في موضع آخر ﴿والملائكة يدخُلون عليهم مِن كل باب * سلامٌ عليكم بما صبرتم﴾(الرعد: ٢٤-٢٥). وهنا علمنا أن ملائكة الله هم الذين سيحضرون أصحاب الجنة ويبلّغونهم هذا السلام.

ولكن الله تعالى يذكر في هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها أمرًا زائدًا حيث يقول الله ﴿تلك الجنة التي نُورِث مِن عبادنا مَن كان تقيًّا﴾. ومن الواضح أن الذي يرث هو الابن لا غير. فالحق أن الله تعالى قد اعتبر هنا كل عبد تقي ابنًا له تعالى. إن الجنة بيت لله تعالى، وسيُنزِل فيه عباده المؤمنين المتقين، ولكنه تعالى يوضح أننا لن ندخل عبدنا المؤمن التقي في الجنة كضيف أو صديق أو سائل، وإنما ننزله في الجنة بصفة ابن لنا ونورثه إياها، ونقول له اذهبْ وعِشْ خالدًا فيها.

وقد حقق الله بذلك غرضين: فأولاً إنه تعالى قد أبطل بذلك الزعم القائل أن خصوصية المسيح أنه ابن لله تعالى، حيث أوضح تعالى أن كل مؤمن تقي ابنٌ لله تعالى. وثانيًا، قد أشار الله تعالى بذلك أن المؤمنين سيُعطَون نعيم الجنة كحق لهم تكريمًا لهم. ذلك أنه فيما يتعلق بالعطاء فإن السائل الفقير أيضًا يتلقى عطاء ولكنه يكون صدقة، ولكن نعيم الجنة لن يكون صدقة على أهلها، إنما يكون ميراثًا لهم، وسيُقال لهم حين يُعطَونه أن هذا حقكم كحق الولد في مال والده. بيد أن هناك فرقًا واضحًا وهو أنهم سيرثون هذا الميراث وأبوهم حيٌّ.

والآن فبما أن الله تعالى قد اعتبر بقوله ﴿نُورِث﴾ كلَّ مؤمن ابنًا له ﷻ وأخبر أن الجنةَ عطاء ميراثٍ، وأخبر أن أهل الجنة سيتلقون فيها سلامًا، فكان طبيعيًا أن يفكر كل مؤمن أنني ما دُمتُ قد أصبحت ابنًا لله تعالى فكان ينبغي أن أتلقى هدية السلام هذه من الله الذي هو أبي! فجاء الجواب على هذا السؤال الطبيعي على لسان الملائكة الذين قاموا بتبليغ هذا السلام لهم في قول الله تعالى ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾.. أي أيها المؤمن إنما نهديك هذا السلام من عند الله تعالى، وليس من تلقاء أنفسنا. لا شك أننا نحن الذين نوصل السلام إلى أهل الجنة، ولكنه في الواقع من عند ربك، إذ من المحال أن نفعل شيئًا من عند أنفسنا، ولسنا إلا مبلِّغين.

هذا هو المراد هنا. ولا مجال هنا لما يذكره المفسرون بأن جبريل توقف عن النزول على النبي ﷺ فترة من الزمن، فأصابه ﷺ حزن شديد، فنزلت هذه الآية. ذلك لأن هذا المفهوم غير منسجم مع السياق كما بينتُ. إن المفهوم الحقيقي إنما هو أن الملائكة ينزلون على أهل الجنة بالسلام، فيقول هؤلاء في أنفسهم: ما هذا السلام؟ هل هو من أبينا الروحاني ﷻ أم من غيره؟ فيجيبهم الملائكة إنه من أبيكم، ولسنا إلا مبلغين.

ثم يقولون ﴿له ما بين أيدينا وما خلفَنا وما بين ذلك﴾.. أي أنها هدية غالية لدرجة أنه تعالى قد بعث معنا حرسًا يحفظونها مِن أمامها ومن خلفها حتى لا تضيع.

ثم يقولون ﴿وما كان ربك نسيًّا﴾.. أي كيف يمكن أن يُنزل الله في بيته أولاده الروحانيين، ثم ينسى أن يُهدي لهم السلام. فكما أنكم أحببتم الله تعالى ولم تنسوه، فإنه تعالى أيضًا لم ينسكم، بل بعثَنا لكي نهدي لكم منه سلامًا.

غير أن هذه الآية تتضمن الإشارة إلى أمر آخر أيضًا، وإليك بيانه. إن سورة مريم تحتوي على ذكر إبراهيم وغيره من الأنبياء الذين كانوا من نسله بمن فيهم موسى، الذي يحوي كتابه، بالإضافة إلى وحيه، أحوال إبراهيم وأولاده. فلما أعلن النبي ﷺ دعواه قال اليهود والنصارى كيف أتى هذا النبي من العرب؟ يجب أن يأتي النبي من بني إسرائيل (أولاد يعقوب). فرد الله على أهل الكتاب بلسان الملائكة إنما نتنزل بأمر ربنا. إنه تعالى بعثنا برسالته إلى العرب فذهبنا بها إليهم. ولو أنه بعثنا إلى بني إسرائيل لذهبنا إليهم. فعَلامَ الاعتراض؟ يمكن أن يقال إن هذا الشخص لا تتوافر فيه صفات الأنبياء، ولكن لا يحق لأحد أن يقول كيف نزل كلام الله على شخص من العرب، لأن الوحي إنما ينزل بأمر الله تعالى، وأن الذين يصيرون مهبطًا لوحي الله تعالى يُعطَون جنة الدنيا وجنة الآخرة. فقد أُعطي موسى أرض كنعان، وأما محمد رسول الله ﷺ فقد أُعطي الجزيرة العربية، وفلسطين والدنيا كلها أيضًا.

ثم ورد ﴿وما كان ربك نسيًّا﴾.. أي أن الله تعالى كان قد نبّأ على لسان موسى أنه سيبعث نبيًّا من بين إخوة بني إسرائيل أي بني إسماعيل، كما أخبر على لسان النبي إشعياء أنه سيُنزل وحيه بين العرب أيضًا؛ فكيف يمكن أن يبطل وعد الله الذي تم على لسان اثنين من أنبيائه. إذا كان اليهود والنصارى قد نسوا ذلك فإن الله تعالى لا ينسى أبدًا.

(يُتبع)

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

شهادة خاتم النبيين على استمرارية الوحي في أمته ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ». (صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «الدِّينَ». (صحيح البخاري، كتاب الإيمان)

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيتُ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ». قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «الْعِلْمَ» . (صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ». (جامع الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً». (صحيح البخاري، كتاب البيوع)

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا » .(جامع الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ)

هكذا تكلم المسيح الموعود

أعظم الكرامات استجابة الدعوات

فاعلموا أن الدعاء حربة أُعطيت من السماء لفتح هذا الزمان، ولن تَغلبوا إلا بهذه الحربة يا معشر الخلاّن، وقد أخبر النبيّون من أوّلهم إلى آخرهم بهذه الحربة، وقالوا إن المسيح الموعود ينال الفتح بالدعاء والتضرع في الحضرة، لا بالملاحم وسفك دماء الأمّة. وإنّ حقيقة الدعاء الإقبالُ على الله بجميع الهمّة، والصدق والصبر لدفع الضرّاء، وإن أولياء الله إذا توجّهوا إلى ربهم لدفعِ مؤذٍ بالتضرّع والابتهال، جرت عادة الله أنه يسمع دعاءهم ولو بعد حين أو في الحال، وتوجّهت العناية الصَمَدية ليدفع ما نزل بهم من البلاء والوبال، بعد ما أقبلوا على الله كل الإقبال. وإن أعظم الكرامات استجابة الدعوات، عند حلول الآفات. فكذلك قُدِّرَ لآخر الزمان، أعني زمن المسيح الموعود المرسل من الرحمان، أن صَفَّ المَصافِّ يُطوى، وتُفتح القلوب بالكَلِم وتُشرَح الصدور بالهدى، أو يُنقَل الناس إلى المقابر من الطاعون أو قارعة أخرى، وكذلك الله قضى، ليجعلَ الهزيمة على الكفر ويُعلي في الأرض دينًا هو في السماء علا. وإن قدمي هذه على مصارع المنكرين، وسأُنصَر مِن ربي ويُقضى الأمر ويتمّ قول رب العالمين.

وهذه هي حقيقة نزولي من السماء، فإني لا أغلب بالعساكر الأرضية بل بملائكة من حضرة الكبرياء.

قيل: ما معنى الدعاء بعد قدَرٍ لا يُرَدّ، وقضاء لا يُصَدّ؟ فاعلمْ أن هذا السرّ مَوْرٌ تضلّ به العقول، ويُغتال فيه الغول، ولا يبلغه إلا مَن يتوب، ومِن التوبة يذوب، فلا تزيدوا الخصام أيها اللئام، وتَلقّفوا مني ما أقول، فإني عليم ومن الفحول. وليس لكم حظ من الإسلام إلا ميسمه، أو لبوسه ورسمه. فمَن أرهفَ أذنه لسمع هذه الحقائق، وحفَد إلينا كاللهيف الشائق، فسأُخْفِره بما يَسرُو ريبتَه، ويملأ عَيبتَه. وهو أن الله جعل بعض الأشياء معلَّقا ببعضها من القديم، وكذلك علّق قدَرَه بدعوة المضطرّ الأليم، فمَن نهض مُهرولا إلى حضرة العزّة، بعبرات متحدّرة ودموع جارية من المُقْلة، وقلبٍ يضجر كأنه وُضع على الجمرة، تحرّكَ له موج القبول من الحضرة، ونُجّيَ مِن كرب بلّغ أمرَه إلى الهلكة. عليه أسرار الحضرة، مع عدم العلم وعدم التجربة؟ وأمّا من سلك مسلك العارفين، فسوف يرى كلَّ أُطْروفة من رب العالمين. (تذكرة الشهادتين ١٢٨ و ١٢٩)

الفُتُوحَاتُ العُمَرِيَّةُ وَدَوْرُ الخَلِيفَةِ عُمَرَ رضي الله عنه المِحْوَرِيُّ فِيهَا

خطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٠٨م

في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

أسباب الفتوحات في عهد عمر رضي الله عنه

كنت تحدثت عن الفتوح في عهد عمر رضي الله عنه. كتب أحد كُتاب السيرة لسيدنا عمر رضي الله عنه وهو العلّامةُ شبلي النعماني وهو يذكر أسباب فتوح عمر رضي الله عنه: لعل مثل هذه التساؤلات تنشأ في ذهن مؤرخ من أنه كيف طوت فئة قليلة من سكان الصحراء صفحات دولتَي فارس والروم؟ هل هذه واقعة استثنائية في تاريخ العالم؟ وما هي أسبابها يا ترى؟ ألا يمكن تشبيه هذه الأحداث بفتوح الإسكندر وجنكيز خان؟ وماذا كان دور الخليفة فيما حدث؟ نريد أن نجيب هنا على هذه التساؤلات، ولكن قبل ذلك ينبغي أن نعرف مدى اتساع الفتوح العُمَرية وحدودها. كانت المساحة الكلية للبلاد المفتوحة في عهد عمر رضي الله عنه ٢٢٥١٠٣٠ ميلا مربعا، أي ١٠٣٦ ميلا من الناحية الشمالية لمكة المكرمة و١٠٨٧ ميلا من ناحية الشرق و٤٨٣ ميلا من ناحية الجنوب. لقد تمت كل هذه الفتوح في عهد عمر رضي الله عنه وخلال عشر سنوات،

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

أكثر قليلا أو أقل قليلا. هذه هي الخلفية التاريخية التي لا بد من معرفتها لفهم هذه الفتوح.

والآن أبين ما هو رأي المؤرخين الأوروبيين عن هذه الفتوح. لقد أجاب المؤرخون الأوروبيون على السؤال الأول وقالوا إن مملكتي فارس والروم كانتا قد فقدتا مجدهما، أي كانتا قد بلغتا كمالهما ومن قانون الطبيعة أن بعد كل كمال زوالا. ثم كتب: كان نظام الدولة الفارسية قد اختل تماما بعد خسرو برويز لأنه لم يكن هناك من هو جدير بتولي الحكومة، وكانت المؤامرات قد تفشت بين أعضاء البلاط وأركان الدولة وبسبب تلك المؤامرات ظل الحكام يتعاقبون باستمرار، فإنه في غضون ثلاث أو أربع سنوات صار الحكم في أيدي ستة أو سبعة ملوك ثم خرج من أيديهم. وقال المؤرخون الأوروبيون: والسبب الثاني لذلك هو أن طائفة المزدكية كان قد اشتد أمرها قبل أنوشروان بقليل وهي كانت تميل إلى الإلحاد والزندقة، أي كانت هذه الطائفة تؤمن بأنه يجب تنزيه قلوب الناس من الطمع ورفْع جميع الخلافات وجعْل جميع الممتلكات بما فيها النساء ملكا مشتركا للجميع، لكي يتنزّه الدين، أي لم يكن لديهم أي احترام للمرأة أيضا.

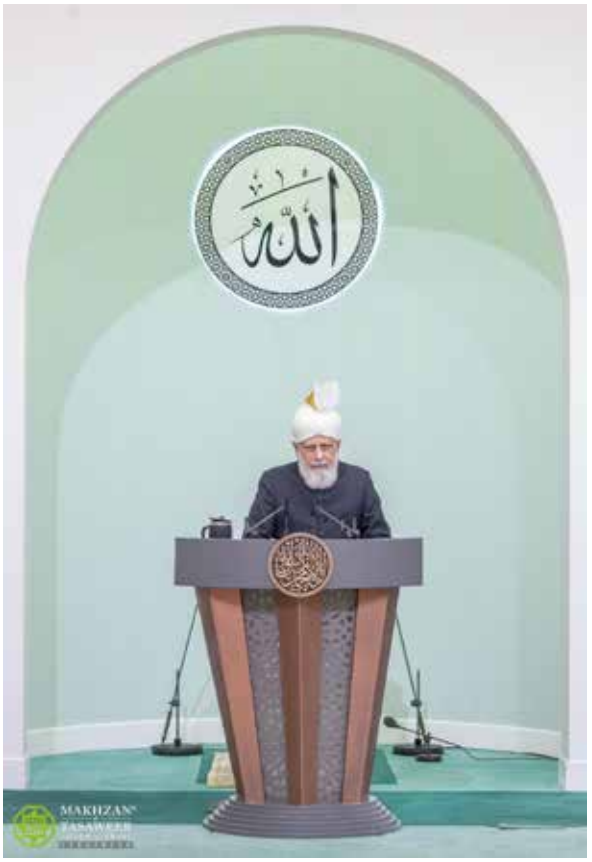

هذه كانت معتقداتهم. وعند البعض كانت هذه حركة اجتماعية تهدف إلى تطهير الديانة الزرادشتية. ومع أن أنوشروان كان قد شد عليهم بالسيف ولكنه لم يستطع استئصالهم تماما، وعندما وطئت أقدام الإسلام أرض فارس اعتبروا المسلمين أنصارا لهم لعدم تعرضهم لأي ديانة وعقيدة. هذه وجهة نظر المؤرخين الأوروبيين.

ثم كتب العلّامة النعماني: إن طائفة النساطرة المسيحية (nestorian) الذين لم يجدوا مأوى لهم في ظل أي حكومة حموا أنفسهم من ظلم المعارضين بمجيئهم تحت ظل الإسلام. وهكذا نال المسلمون التأييد والعون من هاتين الفرقتَين الكبيرتين بالمجان. أما دولة الروم فقد تسرب إليها الضعف وإضافة إلى ذلك كانت نزاعات المسيحية فيما بينهم على أشدها في تلك الأيام، ولأنه كان للدين دخل في نظام الحكم حينها لذا لم يكن تأثير هذا النزاع مقتصرا على الأفكار الدينية فقط بل كانت الدولة ذاتها تضعف بسببه باستمرار.

يقول العلامة ردا على هذا الموقف أو رأي المؤرخين

الأوروبيين المذكور: هذه الإجابة فيها شيء من الحقيقة، إلا أن الزيف في الاستدلال يفوق الحقيقة فيها وهذا هو الأسلوب المتبع لدى الأوروبيين. فلا شك أن دولتي الفرس والروم لم تكونا في أوج قوتهما آنذاك ويمكن أن يُستنتج من ذلك أنهما أصبحتا غير قادرتَين على مواجهة دولة قوية ولكن لا يمكن أن يُستنتج أن تُمزِّقهما على يد قوم بلا عدة وعتاد كالعرب. لأن الفرس والروم كانوا بارعين في فنون الحرب بدليل أن الكتب التي كُتبت عن قواعد الحرب الخاصة بها والتي لا تزال موجودة، ظلت رائجة عمليا لمدة عند الروم وإلى جانب ذلك لم يعترها أي نقص في وفرة المؤن وكثرة العدة والعتاد وتنوع الآلات الحربية وكثرة الجيش، وفوق كل ذلك فهي لم يكن عليها أن تخرج للهجوم على دولة أخرى بل كان عليها أن تدافع عن أرضها باقيةً في بلادها وقلاعها وحصونها. وقبل هجوم المسلمين بقليل في عهد كسرى برويز، حيث كانت فارس في أوج شوكتها وقوتها، حمل عليها قيصر الروم ووصل أصفهان فاتحا في كل خطوة، واستعاد بعض الأقاليم التي كان الفرس قد انتزعوها منهم وأعاد تنظيم الإدارة من جديد.

ومن المسلَّم به عموما أن الحكومة الفارسية كانت في غاية القوة والعظمة حتى عهد كسرى برويز، وكانت الفترة ما بين وفاة كسرى والحملة الإسلامية أربع سنوات فقط، فكيف يمكن أن تضعف مثل هذه الدولة القوية والعتيدة في هذه الفترة القصيرة؟! لا شك أن التغير الذي حدث بسبب الذين اعتلوا العرش من بعده قد أخلّ بالنظام إلا أن مؤسسات الدولة مثل الخزينة والجيش ومصادر الدخل لم يعترها أي خلل، ولما تولى يزدجرد الحكم اتجه أهل البلاد ناحية الإصلاح واستردوا نفس الجاه والعظمة مرة أخرى.

أما الطائفة المزدكية فقد كانت موجودة في إيران ولكن لم نعلم من كتب التاريخ بأن المسلمين تلقوا أي نوع من العون منها، كما لم نعلم شيئا عن تلقي المساعدة من النساطرة، ولم يذكر أحد من المؤرخين الأوروبيين أي حدث أثَّر فيه اختلاف الطوائف المسيحية.

ولننظر الآن إلى حال العرب فإن جميع الجيوش التي كانت منشغلة في حروب الروم وفارس ومصر لم يصل مجموعها قط إلى مائة ألف. ومن ناحية خبرتهم بفنون الحرب فقد كانت اليرموك أول معركة استخدم العرب فيها نظام «التعبئة» في تنظيم الصفوف، والتعبئة هي ترتيب الجيوش عند الحرب بحيث يكون قائد الجيش أو الملك الذي يقود الجيش يقوم في وسط الجيش، كذلك لم يكن العرب يعرفون من عتاد الوقاية سوى الدروع وكثيرا ما كانت تُصنع من الجلد، في حين أن الفرس عرفوا الخوذات والدروع والسترات الحديدية، والجواشن، وهي نوع من الدُرع، والواقية المصفَّحة، وهي هي ألواح حديدية أربع تُربط على الصدر والظهر وعلى كلا الفخذين، والقفافيز الحديدية، و«جهلم» (هي الحلقات الحديدية على الخوذ أو النقاب) والأخفاف التي كانت من مستلزمات ملابس الحرب لكل جندي فارسي، وكان رِكاب الفارس العربي من الخشب بدلا من الحديد، ولم يكن العرب يعرفون من آلات الحرب سوى الصولجان والوهق، (الصولجان نوع من السلاح يكون سميكا ومدوّرا من أعلاه ويكون تحته عصا، ويُستخدم لضرب رأس العدو. وأما الوهق فهو حبل أو شبكة أو

كتب العلامة النعماني وهو يبين الأسباب الحقيقية لفتوح المسلمين: إن الجواب الحقيقي لهذا السؤال في رأيي هو أن الشجاعة والهمة العالية والقوة والصبر والعزيمة والحماس قد دب في المسلمين في ذلك الوقت بسبب بعثة النبي ﷺ فيهم، وقد ضاعف عمر رضي الله عنه من هذه الصفات وشحّذها فلم تستطع مملكتا فارس والروم في عصرهما الذهبي أن تتصديا لهم، وإلى جانب هذا توجد أسباب أخرى، وأولها صدق المسلمين وأمانتهم.

فخ) أما رماحهم فقد كانت صغيرة وضعيفة حتى إن الفرس عندما رأوها لأول مرة في معركة القادسية ظنوها مغازل.

كتب العلامة النعماني وهو يبين الأسباب الحقيقية لفتوح المسلمين: إن الجواب الحقيقي لهذا السؤال في رأيي هو أن الشجاعة والهمة العالية والقوة والصبر والعزيمة والحماس قد دب في المسلمين في ذلك الوقت بسبب بعثة النبي ﷺ فيهم، وقد ضاعف عمر رضي الله عنه من هذه الصفات وشحّذها فلم تستطع مملكتا فارس والروم في عصرهما الذهبي أن تتصديا لهم، وإلى جانب هذا توجد أسباب أخرى، وأولها صدق المسلمين وأمانتهم، فقد كان الناس في أي بلد يُفتح يقعون في حب المسلمين لصدقهم بحيث إنهم كانوا لا يريدون زوال حكمهم بالرغم من اختلاف الدين، ففي معركة اليرموك عندما خرج المسلمون من مدن الشام صاح جميع الرعايا المسيحيون قائلين: «ليردكم الله إلى هذه البلد»، بل إن اليهود خرجوا حاملين التوراة قائلين: «لا يمكن أن يأتي قيصر إلى هنا ما دمنا أحياء».

لقد كان حكم الروم في مصر والشام حكما جائرا، لذا واجه الرومُ المسلمين بقوة الدولة والجيش ولم يكن معهم الرعايا، وعندما قضى المسلمون على قوة الدولة كان الجوُّ مهيأً أمامهم لأنهم لم يجدوا أي نوع من أنواع المقاومة من جانب الرعايا، إلا أن حالة فارس كانت مختلفة عنها فقد كان هناك كثير من الحكام والأمراء تحت لواء المملكة وكانوا يملكون الأقاليم والمحافظات فكانوا يحاربون للحفاظ على حكوماتهم الخاصة لا من أجل الدولة. ومن أجل ذلك واجه المسلمون العراقيل عند كل خطوة في فارس حتى بعد فتحهم عاصمتها، إلا أن الرعية عامة كانت معجبة بالمسلمين، وصارت عونا كبيرا على استتباب حكم المسلمين بعد الفتح.

وكان هناك سبب آخر لذلك وهو أن المسلمين عندما قاموا بالحملات على الشام والعراق في أول الأمر، كان العرب قاطنين بكثرة في البلدين، ففي الشام كان الغساسنة يحكمون دمشق، وكان حاكمها الغساني تابعا لقيصر بالاسم فقط. أما العراق فكان اللخميون يملكون البلاد في الواقع، وإن كانوا يدفعون لكسرى الخراج. وقد حارب هؤلاء العربُ المسلمين في أول الأمر لكونهم مسيحيين، ولكن عاطفة الوحدة العربية عملت عملها أخيرا، فأسلم كبار رؤساء العرب في العراق سريعا، فصاروا بعد إسلامهم عونًا كبيرا للمسلمين. أما

في الشام فأسلم العرب فيها في نهاية المطاف، وتحرروا من حكم الروم.

أما الإسكندر وجنكيز خان وغيرهما من الغزاة فذكرهم غير منسجم في هذا السياق بتاتا. لا شك أن كلاهما أحرز انتصارات عظيمة، ولكن كيف؟ بالقهر والظلم والقتل العام. وأمر جنكيز خان معروف للجميع، أما الإسكندر فلو درسنا انتصاراته لعلمنا أنه لما أراد فتح مدينة «صور» الشامية، قاتله أهلها بكل بسالة لمدة طويلة، فلما تمكن من فتحها أمر بالقتل العام فيها، وعلق جماجم آلاف من سكانها على أسوارها، كما جعل ثلاثين ألفا منهم عبيدا وإماء وباعهم. ولم يترك شخصا واحدا من سكانها الأصليين ممن كانوا يسعون إلى التحرر.

وكانت الحال نفسها في فارس أيضا، فأصطخر التي كانت من مدنها القديمة، لما فتحها الإسكندر قتل كل ذكرٍ من سكانها. وتاريخ انتصاراته مليء بمثل هذه المذابح الوحشية. فكيف يمكن مقارنة انتصاراته بالفتوحات الإسلامية. والمعروف أن الظلم يدمر الدول ويقضي عليها، وهذا صحيح تماما إذ لا يبقى الظلم طويلا. وبالفعل لم تدُمْ ممالك الإسكندر ولا جنكيز خان. غير أن مثل هذه المذابح يمكن أن تساعد على الانتصارات الفورية حيث تبثّ الرعب في قلوب السكان كلهم، ولأن معظم الرعايا يتعرضون للقتل والإبادة فلا يبقى هنالك خطر للتمرد والثورة، ومن أجل ذلك كان مشاهير الغزاة الكبار مثل جنكيز خان وبختنصر وتيمور لنك ونادرشاه وغيرهم كانوا سفاكين دمويين.

أما فتوحات سيدنا عمر ﷺ فلم يتعد فيها الجنود المسلمون القانون والعدل قط. لم يُسمَحْ لهم مطلقا بقطع الأشجار أو التعرض للصغار والشيوخ، دعْ عنك أن يُعمِلوا القتل في الرعايا. وما كان ممكنا أن يُقتَل أحد إلا في ساحة القتال، أي مَن كان يُقتَل من السكان إنما كان يُقتَل أثناء القتال، أما سوى ذلك فلم يكن قتلُ أحد مسموحا به أبدا. وما كان مسموحا لهم بنكث العهد مع العدو أو خداعه بأية حال. وكان هناك أوامر مشددة للقادة أنهم إذا حاربوا العدو فلا يخدعوا ولا يقوموا بالمثلة (أي بقطع أنف أو أذن أحد) ولا يقتلوا وليدا، أما سواهم من جنود مقاتلين فليقاتلوهم بشجاعة، ومَن تمرد بعد أن صار مطيعا، ثم مال إلى الصلح فليأخذوا منه العهد ثانية وليصفحوا عنه. حتى إن أهل عربسوس تمردوا ثلاث مرات متتالية بعد أن آتوا العهود والمواثيق (عربسوس مدينة شامية على الحدود المتاخمة مع آسيا الصغرى) فمع ذلك كل ما فُعل بهم هو جلاؤهم من أرضهم، ومع ذلك دفع لهم المسلمون ثمن عقاراتهم.

ثم قال صاحب هذا الكتاب: لقد أُجلي يهود خيبر بجريمة المؤامرة والتمرد، ولكن دُفع لهم أجور أراضيهم، وأُرسلت الرسائل إلى ولاة مختلف المناطق بأن يقدموا لهؤلاء كل نوع من المساعدة حيثما يمرون، وإذا أقاموا في بلدة فلا يأخذوا منهم الخراج لمدة سنة.

فتوحات عمر، وغزوات جنكيز خان والإسكندر

يقول العلامة النعماني: إن الذين يقللون من عظمة هذه الفتوحات الفاروقية المدهشة بقولهم أنه كان هناك غزاة آخرون مثله في التاريخ، فعليهم أن يقدموا مثالا

أما فتوحات سيدنا عمر ﷺ فلم يتعد فيها الجنود المسلمون القانون والعدل قط. لم يُسمَحْ لهم مطلقا بقطع الأشجار أو التعرض للصغار والشيوخ، دعْ عنك أن يُعمِلوا القتل في الرعايا. وما كان ممكنا أن يُقتَل أحد إلا في ساحة القتال، أي مَن كان يُقتَل من السكان إنما كان يُقتَل أثناء القتال، أما سوى ذلك فلم يكن قتلُ أحد مسموحا به أبدا. وما كان مسموحا لهم بنكث العهد مع العدو أو خداعه بأية حال. وكان هناك أوامر مشددة للقادة أنهم إذا حاربوا العدو فلا يخدعوا ولا يقوموا بالمثلة (أي بقطع أنف أو أذن أحد) ولا يقتلوا وليدا، أما سواهم من جنود مقاتلين فليقاتلوهم بشجاعة، ومَن تمرد بعد أن صار مطيعا، ثم مال إلى الصلح فليأخذوا منه العهد ثانية وليصفحوا عنه.

لحاكم واحد في تاريخ العالم فتح شبرا من أرض العدو ملتزما بهذه الشروط من حيطة وصفح وعدل.

ثم إن الإسكندر وجنكيز خان وغيرهما من الغزاة كانوا يحضرون القتال بأنفسهم في كل وقعة، وكانوا يقودون بأنفسهم جنودهم في ساحة القتال، فكان الجنود يجدون بذلك قائدا محنكا يشرف على القتال، كما كان هذا دافعا طبيعيا كبيرا لرفع معنوياتهم ولخلْق الحماس لفداء سيدهم. ولكن سيدنا عمر ﷺ لم يحضر في خلافته أي معركة قط. كانت الجنود تحارب في كل مكان، ومع ذلك كان سيدنا عمر ﷺ آخذا بزمام أمرهم بيده.

ومن الفروق البينة المميزة الكبيرة أيضا هو أن انتصارات الإسكندر وغيره جاءت كسحاب عارض يأتي بقوة دفعة واحدة ثم ينكشف سريعا، ولم يوطدوا نظام الحكم في البلاد التي غزوها، وعلى النقيض فمن ميزة الفتوحات الفاروقية أن البلاد التي فتحها في ذلك الوقت لا تزال حتى اليوم في ظل الإسلام رغم مرور ثلاثة عشر قرنا على فتحها، كما أن سيدنا عمر في عهد خلافته فعل بنفسه كل ما كان لزاما لتوطيد النظام في تلك البلاد.

ثم كتب صاحب هذا الكتاب عن الدور الخاص الذي لعبه سيدنا عمر في تلك الفتوحات، فقال: والاعتراض الأخير الذي يثار من قبل هؤلاء المعترضين نظرا إلى الرأي العام السائد آنذاك يتمثل في الزعم بأن عمر لم يكن له دور خاص في هذه الفتوحات، بل إن الحماس والعزيمة السائدين عموما عند المسلمين عندها كانا هما الدافع الأصلي وراء كل هذه الانتصارات. ولكن هذا الرأي ليس بسليم عندي. كان المسلمون أنفسهم موجودين في عهد سيدنا عثمان وسيدنا علي رضي الله عنهما، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ لا شك أن الحماس والعزيمة قوتان تعملان عمل البرق، ولكنهما لا تنفعان إلا إذا كان الذي يستخدمهما يتمتع بنفس القوة والقدرة. ولمعرفة هذا الأمر ليس ثمة حاجة للقياس والاستدلال، بل إن الواقعات بنفسها تتكلم وتصدر حكمها. فبدراسة تلك الفتوحات بالتفصيل يتضح جليا أن كل الجنود كانوا يتحركون كالدمية بإشارات سيدنا عمر ﷺ، وكان نظام الجنود مرهونا بسياسة عمر وتدبيره ﷺ.

لقد اخترع سيدنا عمر ﷺ بنفسه نظما عديدة للجيش

من ترتيب للجنود، والمناورات العسكرية، وبناء معسكرات، وتربية الخيول، وحماية القلاع، وتحديد توقيت الحملات نظرا إلى الطقس من برد أو حر، والتحركات العسكرية، ونظام البريد، واختيار القادة، واختراع واستعمال آلات لتدمير القلاع وغيرها من الأمور العسكرية، ثم حافظَ على تنفيذ كل هذه الأمور بقوة وعزيمة بشكل مدهش. كل هذه الأمور هي من خواص سيدنا عمر وحده. والحق أن سيدنا عمر قاد بنفسه الجيوش الإسلامية في الفتوحات العراقية. فعندما كان الجنود يسيرون من المدينة كان يحدد لهم كل منزل ينزلونه في الطريق، بل كان يحدد لهم الطرق التي يسلكونها، وظل يرسل لهم أوامره وفقا لرؤيته، ولما وصل الجيش قريبا من القادسية، طلب خريطة المكان وبحسبها أرسل تعليماته لإعداد الجيش وترتيب الصفوف، وكان القادة الذين يتولون شتى المهام إنما كانوا يتولونها بحسب تعليمات صادرة مباشرة من عمر ﷺ.

لو قرأتم أحداث العراق المفصلة في تاريخ الطبري لتبين لكم بكل جلاء أن هذا القائد الأعلى كان يدير القتال بإصدار الأوامر لكل الجيوش المختلفة جالسا من مكان بعيد، وأن كل شيء كان يتم بحسب إشاراته. كانت هناك معركتان هما الأخطر من بين المعارك خلال كل هذه الحروب التي وقعت في السنوات العشر، إحداهما معركة النهاوند حين أرسل الفرس نقباءهم في كل ولاية فارسية، وأججوا الناس ضد المسلمين من أقصى البلاد إلى أقصاها، فتهيأ المحاربون بمئات الآلاف وتقدموا للقاء المسلمين. والأخرى حين هاجم قيصر الروم بجنوده ثانية على حمص بمساعدة أهل الجزيرة. وفي كلتا المعركتين لم يحسم الأمر إلا بحسن تدبير وسياسة سيدنا عمر ﷺ، حيث صدّ الطوفان القادم من جهة، كما حطم الجبل العظيم من جهة أخرى.

بعد قراءة تفصيل هذه الواقعات لا تثبت إلا حقيقة واحدة وهي أنه لم ير تاريخ العالم المعروف حتى اليوم فاتحا وملكا جمع الفتوحات والعدل معًا مثل الفاروق الأعظم ﷺ، حيث نال الفتوحات كما أقام العدل أيضا.

واقعة استشهاده ﷺ

وقد ورد أن النبي ﷺ دعا لسيدنا عمر بالشهادة أو سماه شهيدا، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ رأى على عمر ثوبا أبيض، فقال: أجديد ثوبك هذا أم غسيل؟ قال ابن عمر: لا أتذكر بماذا أجاب عمرُ رسولَ الله ﷺ، إلا أن رسول الله ﷺ قال له: البسْ جديدا، وعِشْ حميدا، ومُتْ شهيدا. وقال ابن عمر: أظن أنه ﷺ قال أيضا: ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة.

عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ».

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام: لِيَبْكِ الْإِسْلَامُ عَلَى مَوْتِ عُمَرَ ﷺ.»

ولقد ورد عن أمنية عمر ﷺ حول الشهادة، وهناك رواية عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ أَبَاهَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَتْلا فِي سَبِيلِكَ وَوَفَاةً فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ. قَالَتْ: قُلْتُ وَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِأَمْرِهِ أَنَّى شَاءَ.

لقد ذكر المصلح الموعود ﷺ دعاء سيدنا عمر ﷺ عن

تلقي الشهادة وقال:

ما مدى قرب عمر ﷺ من الله؟ يقول الرسول الكريم ﷺ لو كان بعدي نبي لكان عمر. ويعني «بعدي» هنا بعده مباشرة. فإن الذي يعتبره الرسول الكريم ﷺ جديراً بأنه إذا أراد الله تعالى أن يرفع أحدًا من مرتبة الشهادة إلى مرتبة النبوة على حسب حاجة الزمان، لاستحق ذلك عمر ﷺ الذي يعترف حتى أعنف الخصوم الأوروبيين عندما يرون تضحياته بأنه لا يكاد يوجد رجل يقدم مثل هذا النوع من التضحيات بحيث يتفانى في هذا السبيل؛ بل ويغالون بخصوص تضحياته لدرجة يربطون به رقي الإسلام كله، هذا هو سيدنا عمر الذي كان يدعو: اللهم ارْزُقْنِي قَتْلا فِي سَبِيلِكَ وَوَفَاةً فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ. لقد دعا عمر هذا الدعاء بدافع المحبة، وإلا فإن هذا الدعاء كان خطيراً جدًّا، وكان يعني أن يكون المهاجم قويًا لدرجة يفتح البلاد الإسلامية كلها حتى يصل إلى المدينة المنورة ويقتل عمر هناك. ولكن الله العارف بحال القلوب قد حقق رغبة عمر ﷺ وحمى المدينة أيضا من الآفات المخفية وراء تحقق هذا الدعاء، وذلك أنه تعالى جعله يتلقى الشهادة على يد كافر بالمدينة المنورة. على أي حال، يظهر من دعاء عمر ﷺ أنه كان يرى علامة القرب من الله تعالى أن يجد فرصة للتضحية بحياته في سبيل الله، لكن اليوم (كان المصلح الموعود يوصي الأحمديين في إحدى خطبه) يُعدّ إنقاذ الله تعالى الإنسان من الموت علامةً على قرب الله تعالى.

لقد ذكر المصلح الموعود ﷺ واقعة استشهاد عمر ﷺ في مكان آخر وقال: لقد ورد عن سيدنا عمر ﷺ أنه كان يدعو باستمرار: «اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك، وموتًا في بلد رسولك».

لاحظوا أن الموت شيء مفزع بحيث يفارق الإنسان أعز أعزائه عند حلول الموت. يُروى أن ابنة إحدى العجائز مرضت مرضًا شديدًا، (يذكر حضرة المصلح الموعود واقعة لإظهار كيفية خوف الناس من الموت، وهي قصة عجوز مرضت ابنتها) فأخذت تدعو يوميًا أن تنجو ابنتها من الموت، وتموت هي مكانها (حيث كانت

تبدي حبها لابنتها) وفي إحدى الليالي انحلّ رسن البقرة فمضت وأدخلت رأسها في جرّة ضيقة فعلق فيه فأخذتها برأسها وجفلت وأخذت تجري هنا وهناك. فلما رأتها العجوز أمامها ورأت مكان رأسها شيئًا ضخمًا عجيبًا ذعرت. (أي رأت أنها جسم البقرة ومكان رأسها شيء آخر وهي تجري هنا وهناك فخافت جدًّا) فظنت أن دعاءها استجيب، وجاء عزرائيل لقبض روحها، فأخذت تصرخ بشكل عفوي قائلة: يا عزرائيل لست أنا المريضة إنما هي التي مضطجعة هناك، فاقبض روحها وأشارت بذلك إلى ابنتها.

يقول المصلح الموعود ﷺ: لاحظوا كم يحب المرء إنقاذ نفسه من الموت ويسعى له سعيه. فكانت العجوز تدعو لتموت مكان ابنتها ولكنها لما لاحظت أن خطر الموت محدق بها أشارت إلى ابنتها لتُقبض روحها. يقول حضرته: يقوم الإنسان بكل ما في وسعه من أجل إنقاذ نفسه، وبعضهم يظلون ينفقون على تلقي العلاج حتى الإفلاس، أما الصحابة فكانوا يتمنون ا لتضحية بنفوسهم في سبيل الله تعالى باندفاع شديد لدرجة أن عمر ﷺ كان يدعو أن ينال الشهادة في المدينة المنورة.

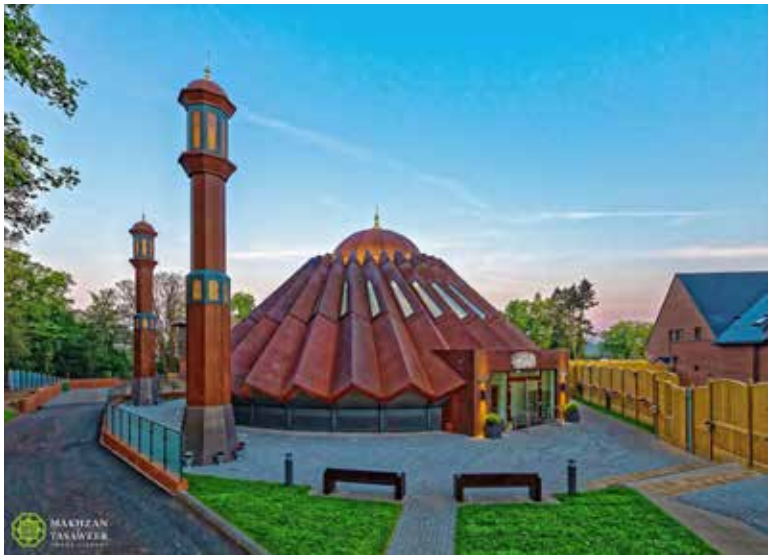

يقول المصلح الموعود: خطر ببالي ما أخطر هذا الدعاء، إذ كان يعني أن يشنّ العدو على المدينة هجوما شديدا ويقتل عمر في أزقة المدينة. ولكن الله تعالى قد استجاب دعاءه بطريقة أخرى بحيث استشهد في المدينة بيد شخص كان يدَّعي الإسلام.

(قيل عن القاتل أنه كان كافرًا ولكن ورد في بعض الروايات أنه ربما كان مسلما، على أية حال، بشكل عام يعرف عنه أنه كان كافرًا. أما المصلح الموعود فقد ذكره مرة أنه كان كافرًا وذكر أيضا أنه كان مسلما، أي أنه لم يكن متأكدًا أكان القاتل مسلمًا أم كافرًا. فقد ذكر بنفسه هنا أيضا) ويرى البعض أنه لم يكن مسلمًا، على أية حال، كان عبدًا مملوكًا تم استشهاد عمر بيده. فما يرغب فيه الإنسان ويتمناه لا يعدّه مصيبة له.

هذا كان بيان المصلح الموعود ﷺ من إحدى خطبه. وهناك رؤى بعض الصحابة عن استشهاد ووفاة عمر ﷺ.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَى عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّاسَ جُمِعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَإِذَا رَجُلٌ قَدْ عَلا النَّاسَ بِثَلاثَةِ أَذْرُعٍ. قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قُلْتُ: بِمَ يَعْلُوهُمْ؟ قَالَ: إِنَّ فِيهِ ثَلاثَ خِصَالٍ.

عمر ﷺ الذي يعترف حتى أعنف الخصوم الأوروبيين عندما يرون تضحياته بأنه لا يكاد يوجد رجل يقدم مثل هذا النوع من التضحيات بحيث يتفانى في هذا السبيل؛ بل ويغالون بخصوص تضحياته لدرجة يربطون به رقي الإسلام كله، هذا هو سيدنا عمر الذي كان يدعو: اللهم ارْزُقْنِي قَتْلا فِي سَبِيلِكَ وَوَفَاةً فِي بَلَدِ نَبِيِّكَ. لقد دعا عمر هذا الدعاء بدافع المحبة، وإلا فإن هذا الدعاء كان خطيراً جدًّا، وكان يعني أن يكون المهاجم قويًا لدرجة يفتح البلاد الإسلامية كلها حتى يصل إلى المدينة المنورة ويقتل عمر هناك.

لا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائم. وَإِنَّهُ شَهِيدٌ مُسْتَشْهَدٌ. وَخَلِيفَةٌ مُسْتَخْلَفٌ. فَأَتَى عَوْفٌ أَبَا بَكْرٍ (الذي كان خليفة آنذاك) فَحَدَّثَهُ فَبَعَثَ أبوبكر إِلَى عُمَرَ فَبَشَّرَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لعوف: قُصَّ رُؤْيَاكَ. فَلَمَّا قَالَ: خَلِيفَةٌ مُسْتَخْلَفٌ انْتَهَرَهُ عُمَرُ فَأَسْكَتَهُ (لأنه كان يذكر ذلك في حياة أبي بكر). فَلَمَّا وَلِي عُمَرُ انْطَلَقَ إِلَى الشَّام فَبَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ رَأَى عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ. فَدَعَاهُ. فَصَعِدَ مَعَهُ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: اقْصُصْ رُؤْيَاكَ. فَقَصَّهَا. فَقَالَ: أَمَّا أَلا أَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائم فَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَنِي اللَّهُ فِيهِمْ. وَأَمَّا خَلِيفَةٌ مُسْتَخْلَفٌ فَقَدِ اسْتُخْلِفْتُ فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنِي عَلَى مَا وَلانِي. وَأَمَّا شَهِيدٌ مُسْتَشْهَدٌ فَأَنَّى لِي الشَّهَادَةُ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ لَسْتُ أَغْزُو النَّاسَ حَوْلِي؟ ثُمَّ قَالَ: يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أي أن الظروف الحالية لا تشير إلى ذلك ولكن الله تعالى يمكن أن يأتي بها إن شاء.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ كأني أخذت جواد كَثِيرَةً فَاضْمَحَلَّتْ حَتَّى بَقِيَتْ جَادَّةٌ وَاحِدَةٌ. فَسَلَكْتُهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى جَبَلٍ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوْقَهُ وَإِلَى جَنْبِهِ أبو بكر. وإذا هو يومىء إِلَى عُمَرَ أَنْ تَعَالَ. فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. مَاتَ وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قال أنس: فَقُلْتُ: أَلا تَكْتُبُ بِهَذَا إِلَى عُمَرَ؟ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأَنْعِيَ لَهُ نَفْسَهُ.

عن سعيد بن أبي هلال أن سيدنا عمر بن الخطاب خاطب الناس يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال أيها الناس أُريت رؤيا توحي بأن موتي قريب، فقد رأيت ديكا أحمر نقرني نقرتين، وإني استعبرت أسماء بنت عميس، فقالت: يقتلك رجل من العجم.

فعن يوم استشهاد سيدنا عمر ﷺ ويوم دفنه روايات مختلفة، فقد ورد في الطبقات الكبرى، أن سيدنا عمر ﷺ هوجم يوم الأربعاء وتوفي يوم الخميس، حيث طعن في السادس والعشرين من ذي الحجة عام ثلاثة وعشرين الهجري، ودفن صباحَ الأول من محرم عام أربع وعشرين الهجري. وقال عثمان الأخنس أنه ﷺ توفي في يوم الأربعاء في السادس والعشرين من ذي الحجة، وقال أبو معشر أن عمر ﷺ استشهد في السابع والعشرين من ذي الحجة، وقال معظم المؤرخين ما عدا تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير إن عمر ﷺ طعن في السادس والعشرين من ذي الحجة عام ثلاث وعشرين الهجري وتوفي في الأول من محرم عام أربع وعشرين الهجري ودفن في اليوم نفسه.

وقد ورد تفصيل حادثة الشهادة في صحيح البخاري كالتالي:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: «كَيْفَ فَعَلْتُمَا (بحق أراضي العراق، التي كانت مهمة عنايتها قد عُهدت إليهما من قبل الخلافة) أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ؟ قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، (أي تقدر الأرض على إنتاج الزرع بحسب ذلك) مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ، قَالَ: قَالاَ: لاَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ، لَأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ العِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي – أَوْ أَكَلَنِي – الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، (خشية أن يمسك به أحدهم) حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، (وهو قميص طويل ومعه ما يغطي الرأس أيضا ويقال للطاقية الطويلة أيضا) فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ المُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ، (فمن هنا أيضا ثبت أنه لم يكن مسلما)، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ العُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، – وَكَانَ العَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا – فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَيْ: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا؟ (أي هؤلاء الرقيق العجم في المدينة). قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ.(فكان كثير من الرقيق قد أسلموا). فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمِئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لاَ بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ. فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ،

لو كان بعدي نبي لكان عمر

مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدَم فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلاَمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ (أي لن يبلى عاجلا لاحتكاكه بالأرض) وَأَتْقَى لِرَبِّكَ.(في ذلك الزمن كان الناس يرتدون ثيابا طويلة للدلالة على الغنى والثراء، فحذره من التكبر فهو أقرب للتقوى). يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ، مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلاَ تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا المَالَ. انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عُمَرُ السَّلاَمَ، وَلاَ تَقُلْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ اليَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، (وقد ورد في عمدة القارئ شرح البخاري أنه ﷺ قال حين أيقن بموته، وكان في ذلك إشارة لحضرة عائشة ألا تخاف من «أمير المؤمنين») فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ السَّلاَمَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ اليَوْمَ عَلَى نَفْسِي. فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ. أَذِنَتْ، قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي (الحجرة للدفن)، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ وَجَاءَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ – كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ – فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ، وَلاَ خِيَانَةٍ، وَقَالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلاَمِ، وَجُبَاةُ المَالِ، وَغَيْظُ العَدُوِّ، وَأَلاَ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ. وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ العَرَبِ، وَمَادَّةُ الإِسْلاَمِ، أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ، فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ، الذين سماهم عمر ﷺ ليتم انتخاب الخليفة.

سأستأنف الحديث عن هذا الموضوع في الخطبة القادمة بإذن الله لأن للحديث بقية.

الذُّبَابَةُ المَنْزِلِيَّةُ، حَشَرَةٌ مُزْعِجَةٌ وَنُبُوءَةٌ مُعْجِزَةٌ

الذبابة المنزلية من أكثر الكائنات الحية انتشارًا في العالم، وهي رفيق دائم للإنسان حيثما حلَّ، وإن كانت رفيقا غير مرغوب فيه في أغلب الأحيان. ورغم صِغَر حجمها وبساطة مظهرها، تُخبِّئ هذه الحشرة في بنيتها التشريحية أسرارًا علمية مذهلة، لا تقتصر على تركيبها البيولوجي الفريد، بل تمتدّ لتشمل تفاعلاتها مع البيئة ودورها في النظام البيئي.

هي حشرة طالما ينظر إليها الإنسان باشمئزاز وازدراء، لكنّ التقدّم العلمي الحديث كشف عن جوانب فريدة في سلوكها وتكوينها، حتى إنها أصبحت موضوع دراسات علمية معمّقة، ليس فقط في مجال علم الحشرات، بل في مجالات أخرى مثل علم الأحياء الجزيئي، والباثولوجي، أي علم الأمراض، وحتى علم المواد.

تندرج الذبابة المنزلية تحت فصيلة الحشرات من ذوات الجناحين، وهي حشرة بالغة التعقيد من الناحيتين الوظيفية والتشريحية على الرغم من ضآلة حجمها ووزنها، حيث يتراوح طولها في المتوسط بين ستة إلى سبعة ملليمترات، ولها بدن رمادي يميل إلى السواد، وأعين مركّبة كبيرة، وجناحان شفّافان، وستة أرجل، كشأن سائر الحشرات الأخرى. لكنّ الشيء الأكثر إثارة للاهتمام في هذه الحشرة الصغيرة هو نظامها الغذائي، وأسلوبها الغريزي الفريد في عملية الهضم، فهو أسلوب يتّسم بخصائص جدِّ عجيبة، ولا تكاد تشاركها في ذلك الأسلوب إلا أنواع معدودة من الأحياء الأخرى. هذا

مصر
د. أحمد وائل

تُعدّ الذبابة المنزلية من أخطر نواقل الأمراض، حيث يمكنها أن تنقل أكثر من ١٠٠ نوع من مسبّبات الأمراض المختلفة، بما في ذلك البكتيريا، والفيروسات، والفطريات، والطفيليات. وتنقل الذبابة الجراثيم الدقيقة بطريقتين اثنتين، أولاهما النقل الميكانيكي: حيث تعلق الميكروبات بأرجلها وسائر بدنها، فتنقلها إلى الأطعمة والمياه التي تحط عليها. والطريقة الثانية هي النقل البيولوجي، حيث تبتلع الذبابة الجراثيم فيما تبتلع مما تحط عليه، ومن ثم تُطلقها مع ما تُفرزه من أنزيمات هاضمة.

النظام الهضمي، الذي يعمل جزئيًا خارج جسدها، هو ما يجعلها مثالًا بارزًا على دقة الوصف العلمي لها في القرآن الكريم، والذي أشار إلى هذه الحقيقة قبل قرون طويلة من اكتشافها.

السر الدفين إلى القرن الثامن عشر

مثَّلت الذبابة والمعلومات المتاحة حولها سرًّا مغلقا طيلة القرون السابقة على القرن الثامن عشر الميلادي، حين أقدَم السويدي "كارل لينيوس" على وصف الذبابة المنزلية تصنيفيًا عام ١٧٥٨ ضمن كتابه «نظام الطبيعة». وفي عام ١٧٧٦، عرض الدنماركي "جوهان كريستيان" فابريسيوس وصفًا أكثر تفصيلاً لها. هذه التوصيفات الأولية كانت مقدِّمة ممهّدة للكشف عن تشريح الذبابة، بما في ذلك أجزاء فمها المتكيفة مع امتصاص السوائل.

أكثر من مجرد حشرة مزعجة

سمي الذباب ذبابا لكثرة حركته، واضطرابه، وقيل: «لأنه كلما ذُبَّ آبَ» [١]، أي كُلَّما دُفِع وطُرِد عاد مرة أخرى! ولا تقتصر أهمية دراسة الذبابة المنزلية على غرابة تركيبها البيولوجي، بل تمتد لتشمل تأثيرها على صحة الإنسان. تُعدّ الذبابة المنزلية من أخطر نواقل الأمراض، حيث يمكنها أن تنقل أكثر من ١٠٠ نوع من مسبّبات الأمراض المختلفة، بما في ذلك البكتيريا، والفيروسات، والفطريات، والطفيليات. وتنقل الذبابة الجراثيم الدقيقة بطريقتين اثنتين، أولاهما النقل الميكانيكي: حيث تعلق الميكروبات بأرجلها وسائر بدنها، فتنقلها إلى الأطعمة والمياه التي تحط عليها. والطريقة الثانية هي النقل البيولوجي، حيث تبتلع الذبابة الجراثيم فيما تبتلع مما تحط عليه، ومن ثم تُطلقها مع ما تُفرزه من أنزيمات هاضمة.

ومن الأمراض المنتقلة بواسطة الذباب الدوسنتاريا والكوليرا والتيفوئيد، ناهيك عن بعض أنواع التهابات العين، لذا تُعَدّ مكافحة انتشار الذباب من أهم أركان جهود الوقاية الصحية العامة للحد من انتشار هذه الأمراض، والتي يُصنف أغلبها على أنها أمراض وبائية.

الذبابة في الدراسات العلمية

لقد أصبحت الذبابة المنزلية، شأنها شأن بعض

الحشرات الأخرى مثل ذبابة الفاكهة نموذجًا بحثيًا مهمًا في المختبرات العلمية، ليس في المجال الباثولوجي (علم الأمراض) وحسب، فقد اتخذت الذبابة سبيلها إلى مجال دراسات علم الوراثة، وعلم الأعصاب، وعلم السموم، ويُعزى ذلك إلى عدة أسباب، أولها دورة حياتها القصيرة، بما يسمح للباحثين بمراقبة عدة أجيال متلاحقة في وقت قصير، ومن ثم رصد الصفات الوراثية المنتقلة عبر الأجيال. والسبب الثاني هو إمكانية تربيتها وتكثيرها في المختبرات، مما يجعلها نموذجًا اقتصاديًا ومتاحًا للدراسة. أما السبب الثالث في الاعتماد على الذبابة في المعامل والمختبرات البيولوجية فهو التعقيد النسبي لتركيبها الجيني، والذي يشبه إلى حدّ ما بعض الجينات الموجودة في البشر، مما يسمح بفهم بعض العمليات البيولوجية الأساسية.

ومن النماذج التي تثبت نجاح فكرة الاعتماد على الذبابة المنزلية في مجالات ذات فائدة علمية وحياتية استخدام الذبابة في بحوث معملية حول مقاومة المبيدات الحشرية، وفهم آليات هذه المقاومة على المستوى الجزيئي، مما يُسهم في تطوير استراتيجيات أفضل للتحكّم في مدى انتشارها.

أسلوب الهضم الاستثنائي، ودقة الوصف القرآني

بخلاف غالبية الكائنات الحية، التي تقوم بهضم طعامها بشكل كامل داخل جهازها الهضمي، تتبع الذبابة المنزلية طريقة فريدة من نوعها. فقبل أن تبتلع الطعام، تقوم أولًا بإفراز إنزيمات هاضمة من فمها على المادة الغذائية، هذه الإنزيمات الهاضمة تلعب نفس الدور الذي تلعبه الأنزيمات التي يفرزها الجهاز الهضمي لدى سائر أعضاء المملكة الحيوانية، حيث تُحلِّل الطعام وتحوله إلى سائل مستحلب، ثم تقوم الذبابة بامتصاص هذا السائل. وأسلوب الهضم هذا هو ما يُعرَف بـ الهضم الخارجي، وهو بالضبط ما يجعل من استعادة أي شيء تسلبه الذبابة عملية شبه مستحيلة، فبمجرد أن تُلقي تلك الحشرة إنزيماتها الهاضمة على الطعام، فإنه يبدأ في التغيّر كيميائيًا، ويتحلل إلى مواد أبسط، مما يجعله غير قابل للاستعادة بصورته الأصلية.

هذه المعلومة الدقيقة قد تبدو بسيطة، غير أنها في الواقع نتيجة تراكم معرفي كبير في مجال علم الحشرات. لم يكن العلماء يعرفون هذه الخاصية بالتفصيل قبل قرنين من أيامنا هذه، وقد تطوّرت معرفتهم بها مع تقدّم الأبحاث في علم وظائف الأعضاء للحشرات. فقد أصبح من الممكن الآن دراسة هذه الإنزيمات على المستوى الجزيئي وفهم طريقة عملها.

وإن ما أمكن التوصُّل إليه من معلومات عن الذبابة حتى الآن له ما له من قيمة وأهمية، لا سيما حين نربط تلك المعلومات المُكتشَفة حديثًا بالبيان القرآني الدقيق لهذه الحشرة، خاصة فيما يتعلق بأسلوب تغذيتها وطريقة هضمها. ففي سورة الحج، يُحدِّثنا القرآن الكريم عن عجز الإنسان مهما بلغ من درجات علمية عن خلق أحقر مظاهر الحياة وأبسطها تركيبًا، وهو هنا الذبابة، ثم يشير إلى خاصية فريدة لها في سياق الآية القرآنية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ...﴾ (٢)

إن هذه الآية الكريمة، التي نزلت قبل أكثر من ١٤٠٠

فبمجرد أن يسلب الذباب شيئًا، أي يأخذ منه جزءًا، فإنه يبدأ في هضمه على الفور من خلال إفراز الإنزيمات. وهذا التحليل الكيميائي يجعل من المستحيل استنقاذ الشيء المسلوب، أي استعادته بهيئته الأصلية.. وهذا الوصف القرآني لا يقتصر على مجرد ذكر حقيقة علمية، بل يُبرز أيضًا الإعجاز في دقة اللغة.

عام، تصف بدقة متناهية ظاهرة لم يكتشفها العلم إلا حديثًا، وهي عملية الهضم الخارجي للذبابة. فبمجرد أن يسلب الذباب شيئًا، أي يأخذ منه جزءًا، فإنه يبدأ في هضمه على الفور من خلال إفراز الإنزيمات. وهذا التحليل الكيميائي يجعل من المستحيل استنقاذ الشيء المسلوب، أي استعادته بهيئته الأصلية.. وهذا الوصف القرآني لا يقتصر على مجرد ذكر حقيقة علمية، بل يُبرز أيضًا الإعجاز في دقة اللغة. فعبارة «يسلبهم» لا تعني فقط «يأخذ منهم»، بل تحمل معنى «الأخذ بقوة ومهارة»، وهو ما يتناسب مع الحركة السريعة التي تؤديها الذبابة في الوصول إلى طعامها، ومن ثم هضمه. وعبارة «لا يستنقذوه» تعني «لا يستطيعون تخليصه أو استعادته»، وهو ما يتوافق تمامًا مع التحليل الكيميائي الذي يغير طبيعة المادة.

هذا التوافق بين العلم والوصف القرآني ليس مجرد مصادفة، بل هو من قبيل الشهادات الخارجية التي بينها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في كتابه ذائع الصيت «البراهين الأحمدية». علمًا أن من الشهادات الخارجية على صدق الكتاب المُوحَى، في اصطلاح حضرته عليه السلام تلك الشهادات المستمدة من أمور غيبية تتكشف في المستقبل، والمراد منها ما يُدلي به المأمور من أمور بحيث يكون من المؤكد تماما أن بيانها يفوق قدرته من كل الوجوه، أيْ أن النظر في تلك الأمور والتأمل في ظروف مَن يبيّنها يؤكدان بالبداهة أن تلك الأمور ليست في حكم المقدور البديهي والمشهود بالنسبة إليه، ولا يمكن له حيازتها بالتأمل والتدبر، ولا يجيز العقلُ الزعم أن يحوزها ذلك الشخص بواسطة معارفه.[٣]

إنّ مَن أنزل القرآن وضرب فيه مثل الذبابة هو ذاته خالق الذبابة بخصائصها الفريدة تلك، لذا فإنّ دراسة الذبابة المنزلية، بكل ما فيها من تعقيد ودقة، تُظهر لنا أن كل كائن من الأحياء أو الجمادات، مهما جلَّ أو حقُر في نظرنا، يحمل وجوده في طياته آيات إلهية مشيرة إلى الله الخلاق العليم ﷻ ودالة على عظمته وإحسانه خلقه، فـ ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾.[٤]

الهوامش

١. عبد اللطيف عاشور، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي، ص١٩٥، القاهرة، د. ت.

٢. (الحج: ٧٤)

٣. يُنظَر: مرزا غلام أحمد القادياني، البراهين الأحمدية، ج٣

٤. (السجدة: ٧-٨)

منهج القرآن في حماية الهوية الروحية في خضم دعاوى الاندماج

مصر

د. ريهام سنون

مسألة الهوية

حين تُطرح مسألة الهوية على مائدة النقاش نجد أنها سر العديد من النزاعات الإثنية في جميع أنحاء العالم، ولا فرق هنا بين العالم الغربي المتقدم والعالم الثالث النامي، فمسألة الهوية قاسم مشترك، ومثار قلق وتخوف واضحين. كل هذا بسبب الرغبة المتأصلة لدى كل شعب في حفظ ملامح هويته القومية العنصرية الزائلة لا محالة عاجلا أم آجلا.. فهنا نروم تبيان معنى الهوية الحقيقية التي تتسامى على مجرد العرق والقومية الجاهلية. إن الحديث الدائر سيكون حول الهوية الروحية التي ثبت أن بقاءها وصيانتها هو ضامن العيش الكريم، الذي يتجاوز حياة الجسد إلى الحياة الروحية السامية.

سورة «الكافرون» والقاعدة الذهبية

نظرا إلى كون قضية الهوية مثار قلق وتخوف واضحين، فهي أمر دائم التحدي. وبالنسبة لنا كمسلمين، فإن هويتنا على المحك في البلدان الغربية، لا سيما إزاء الدعاوى التي يطلقها البعض بحجة الاندماج، زعمًا بأن احتفاظ المسلمين بهويتهم الإسلامية من شأنه إحداث خلل في التجانس المجتمعي.[1] وفي زمنٍ تتسع فيه مساحات الغموض الأخلاقي، يمدنا القرآن الكريم بإرشادات واضحة تضمن لنا السير السليم في

الحفاظ على الهوية الإسلامية في المجتمعات الغربية قد يكون محفوفًا بالصعوبات؛ إذ كثير من الممارسات الإسلامية تختلف عما يُعَدّ مألوفًا هناك... هذه التحديات تستلزم من المسلم صلابة نفسية وقوة قناعة، مع موازنة دقيقة بين قيمه الإيمانية ومتطلبات البيئة المحيطة. والتمسك بهذه الهوية، في مثل هذه السياقات، هو في حقيقته شهادة عملية على صدق الانتماء وعمق الالتزام. وقد بينت بحوث في علم النفس أنّ وضوح الحدود الشخصية والقيم المستقرة يعزز مناعة الفرد النفسية، ويحافظ على توازنه وصحته الذهنية.

مجاهل عصر الحداثة الراهن، ففي سورة «الكافرون» يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.﴾[٢]. هذه السورة المكيّة نزلت قبل الهجرة، وتحتل مكانة مركزية في الخطاب القرآني لما تحمله من رفض قاطع للشرك، وإصرار مطلق على التوحيد. فقد جاءت ردًّا حاسمًا على مشركي مكة الذين عرضوا على النبي ﷺ نوعًا من التوفيق أو التسوية بين عبادة الله وعبادة الأصنام، فقد نَزَلَتْ فِي رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا وَنَتَّبِعُ دِينَكَ، تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فَإِنْ كَانَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا مِمَّا بِأَيْدِينَا كُنَّا قَدْ شَرِكْنَاكَ فِيهِ وَأَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِأَيْدِينَا خَيْرًا مِمَّا فِي يَدِكَ كُنْتَ قَدْ شَرِكْتَنَا فِي أَمْرِنَا وَأَخَذْتَ بِحَظِّكَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنَّ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِيهِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى فَرَغَ مِنَ السُّورَةِ، فَأَيِسُوا مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ»[٣].

إن أسلوب السورة الصارم ينفي إمكانية مسايرة المسلمين لعقائد المشركين تحت أي ضغط أو إغراء. وهو موقف يُظهر بجلاء جوهر الإسلام، التوحيد الخالص لله تعالى.

إن الحكمة العملية التي نستقيها من هذه السورة هي الشجاعة في إعلان المبادئ دون عداء أو تنازل، مع مراجعة حدودنا القيمية بما يوافق أصول الإسلام، وممارسة الحوار مع المختلفين باحترام وموضوعية، مقتدين بالمنهج القرآني في التعايش.[٤]

العلم الحديث يُقِرُّ

في هذا العصر الذي تنامت فيه العلاقات الاجتماعية وتعقدت، تكتسب تعاليم سورة «الكافرون» دلالة جديدة تنضاف إلى الدلالات السالفة وتنبني عليها. وقد أظهرت دراسة نفسية معاصرة نشرتها مجلة Frontiers المتخصصة في علم النفس، أنّ وضوح القيم الشخصية يسهم في تعزيز الرضا عن الحياة، وأن المرونة العاطفية والذكاء الوجداني يعززان هذا الأثر.[٥]

وبالنسبة للمسلم، فإن هويته تتمحور في وعيه بربه خالقًا ومُدبّرًا، فهي هوية قائمة على التوحيد، والالتزام بالقرآن والسنّة، والتحلي بالقيم الإسلامية الكبرى كالعدل، والتواضع، والرحمة، والاستقامة. وهذه القيم ليست مجرد نموذج حالم، بل هي نموذج واقعي وإطار عملي يشكّل حياة المسلم الروحية والأخلاقية والاجتماعية. ولقد أعلن القرآن الكريم مبدأ تميز هوية المسلم عمَّن سواه من الناس، وهذا التميُّز ليس بدوافع عنصرية بغيضة، وإنما بدوافع أخلاقية

روحية بحتة، فعلى سبيل المثال يوجه الله تعالى نساء النبي ﷺ بوصفهن المثال الذي ينبغي أن تحتذيه كل امرأة وفتاة مسلمة، فيقول تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا.﴾[٦].

حماية الحدود الشخصية

الحفاظ على الهوية الإسلامية في المجتمعات الغربية قد يكون محفوفًا بالصعوبات؛ إذ كثير من الممارسات الإسلامية تختلف عما يُعَدّ مألوفًا هناك. فمثلاً: الامتناع عن السهرات المختلطة بعد العمل، أو تجنّب الاختلاط الحر مع الجنس الآخر، أو رفض حضور الحفلات التي يُقدَّم فيها الخمر والمخدرات، أو الالتزام بالزيّ المحتشم، كلها خيارات إيمانية قد يُنظر إليها بوصفها غريبة أو غير مفهومة في السياق الاجتماعي الغربي. هذه التحديات تستلزم من المسلم صلابة نفسية وقوة قناعة، مع موازنة دقيقة بين قيمه الإيمانية ومتطلبات البيئة المحيطة. والتمسك بهذه الهوية، في مثل هذه السياقات، هو في حقيقته شهادة عملية على صدق الانتماء وعمق الالتزام. وقد بينت بحوث في علم النفس أنّ وضوح الحدود الشخصية والقيم المستقرة يعزز مناعة الفرد النفسية، ويحافظ على توازنه وصحته الذهنية.

الركيزة هي الحوار البنَّاء

يُعين وضوحُ التواصل المسلمَ على تجنّب سوء الفهم وتخفيف الضغوط الاجتماعية. فالتصريح بالقيم الإسلامية — مثل الامتناع عن شرب الخمر، أو المواظبة على الصلاة، أو الالتزام بالحشمة — يضع حدودًا واضحة مع الآخرين ويمنع الارتباك الداخلي. ورغم أن إعلان هذه الحدود في البداية قد يبدو صعبًا أو مثيراً للحرج الاجتماعي، إلا أن التكرار مع الاحترام المتبادل يرسّخ التفاهم ويخفف من الصدامات المستقبلية. وهذا هو المقصود من روح السورة؛ فهي لا تحرّض على عداوة، بل ترسّخ ضرورة الفصل بين المؤمنين وغيرهم في شؤون العقيدة. وعبارة «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» تمثل قاعدة ذهبية في الحوار غير العدائي، قائمة على الاحترام المتبادل وحرية الاعتقاد[٧]

وقد ركزت بعض الدراسات في مجال علم النفس الاجتماعي وعلم اللغة الاجتماعي على تحليل الخطاب في سياق المجتمعات العربية. وتوصلت إلى أن الغموض قد يُستخدم أحيانًا كوسيلة لتجنب المواجهة المباشرة، لكنه في المقابل يُسبب ضغطًا نفسيًا هائلاً، حيث يترك الأمور عالقة وغير محسومة، وعلى العكس تماما، فإن الحوار الواضح والمهذَّب، حتى لو كان حول أمور خلافية، ينشر لدى الطرفين المتحاورين شعورًا بالسيطرة على الموقف ويُسهّل الوصول إلى حلول، الأمر الذي يفضي في نهاية المطاف إلى تعزيز العلاقات الإنسانية، وهذا ما يتناغم مع التوجيه القرآني بالجدال بالتي هي أحسن، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[٨].

ليست دعوة إلى الانغلاق

إنّ ذوبان المرء المسلم في مجتمعات المهجر، لا سيما حين يكون ذلك الذوبان ميالا إلى التغريب دون وعي أو تمييز، فلن يكون سوى ستارٍ خادعٍ يُلقى على جوهر الأمة، بهدف طمس شخصيتها ومحو هويتها. فالحذر من هذه التيارات الجارفة التي تسعى إلى محو موروثنا الروحي والتربوي.

إن هذه ليست دعوة إلى العزلة والانكفاء على الذات، ولا إلى تكوين مجتمعات «غيتو» منغلقة على أهلها، كمجتمعات اليهود في دول أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية، بل هي دعوة إلى حصانة فكرية تحمي أجيالنا من

التشويه والتدمير القِيَمِي الذي تسعى إليه القوى الدجالية التي لا تفتأ تنفث سمومها عبر كل وسيلة، ساعيةً إلى اختراق العقول والتأثير في الطبائع، فما تسعى إليه هو سلخ الذات من خالقها واقتلاعها من جذورها.

إن الجيل المتزن هو ذلك الذي لا ينساق خلف التقليد الأعمى، بل يزن الظواهر بميزان قناعاته التربوية والإيمانية، وبما فُطر عليه من حب للفضيلة وبغض للرذيلة. إنه جيل يتسلح بالعلم والمعرفة، ليبني سدًا منيعًا يصدّ مغريات التغريب.

نحن نفهم أن لا أحد يحبذ حياة العزلة، نحن جميعاً نؤمن بالاندماج، بل إن الاندماج المحمود هو ذلك الذي تبقى فيه هويتنا الروحية متميزة، وانطلاقًا من هذا الوضع فالإسلام هو الراعي الرسمي للاندماج البناء، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.﴾[٩]. فلا غضاضة إذن في الاندماج، شريطة أن نعد له عدته المتمثلة في هوية روحية قوية معتزّ بها، بغير هذا يكون الاندماج سيلًا جارفًا مهددًا بقاءنا. لقد عالج المسيح الموعود عليه السلام هذه القضية الحساسة في كتابه القيّم «سفينة نوح»، حيث قال عليه السلام: «ألا لا تقلّدوا الأمم الأخرى برؤية ما حقّقوه من تقدُّم في خططهم الدنيوية، فتقولوا هَلُمَّ نتّبعْ سبيلهم. ألا فاسمعوا وعوا، إنهم لا يعرفون أبدًا الله الذي يدعوهم إلى نفسه، وغافلون عنه تمامًا. ما هو إلههم؟! إنْ هو إلا إنسان عاجز، ولذلك فقد تُركوا في غفلتهم يعمهون»[١٠].

الهوامش:

١. فهيم يونس القرشي، ماذا عن هويتنا الروحية، مجلة التقوى، عدد فبراير ٢٠٢٢

٢. (الكافرون: ١–٦)

٣. أبو الحسن الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، تحقيق: عصام الحميدان، ط٢، ص ٤٦٧، دار الإصلاح، الدمام، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م

٤. Sana Maryam Idrees, How insights from Surah al-Kafirun can help us navigate the modern world,

5. Aiko Murata & Others, The balance of intrapersonal, interpersonal, and extra-personal values and its relationship to life satisfaction and resilience in Japan and the United States

6. (**الأحزاب: ٣٣**)

7. Sana Maryam Idrees, How insights from Surah al-Kafirun can help us navigate the modern world

8. (العنْكبوت: ٤٧)

٩. (الحجرات: ١٤)

١٠. مرزا غلام أحمد القادياني، سفينة نوح، الترجمة العربية، الطبعة الحديثة، ص٣٢، الشركة الإسلامية المحدودة،

"تمبكتو" واحة العلم ولؤلؤة الصحراء

الأردن

د. منى محمد

إزالة سوء فهم جغرافي

''تمبكتو'' مدينة ذات تاريخ لافت تقع في مالي ، وهي من أهم العواصم الإسلامية في غرب أفريقيا، أو ما يدعوه الجغرافيون القدامى بالسودان الغربي، وقبل أن نشرع في سرد معلومات المقال، علينا أولا توضيح ما نعنيه بذكر مصطلح «السودان» جغرافيا..

بلاد السودان منطقة جغرافية تشير بشكل عام للمنطقة الخضراء التي تقع مباشرة جنوب منطقة الساحل، أي ساحل البحر المتوسط. وتشمل مناطق تقع اليوم في أجزاء من دول السنغال ومالي وتشاد وجمهورية السودان وجمهورية جنوب السودان وأفريقيا الوسطى وإثيوبيا. وفي مخطوطه المعنون بـ «تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان» الذي يُقدم لمحة مثيرة للاهتمام عن جزء مهمَل من إفريقيا، قسم مؤلفه محمد بن عمر التونسي ولايات السودان جنوب الصحراء: سنار وكردفال (كردفان) ودار الفور (دارفور) ووادَّاي والباقرمة وبرنوا وأدقز ونفه ودار ملا وتنبكتو. [1]

أصل التسمية

سُميت قديمًا «تنبكت»، ودعاها الناس بـ»بجوهرة الصحراء المتربعة على الرمال»، وهي تقع على الطريق الواصلة بين مدن شمال أفريقيا وغربها، وهي ملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر وليبيا، وكذلك «تجار الملح» القادمين من أزواد، حيث مناجم الملح في الإقليم الصحراوي الواقع شمالي دولة مالي [2]، ولتمبكتو خصوبة المرأة الولود، فقد أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية، وتعاقب عليها الغزاة وآخرهم الفرنسيون، الذين ما تزال آثار استعمارهم لغرب القارة ماثلة في ذاكرة أبنائها، وقد قاومتهم قبائل المنطقة بقيادة «محمد علي الأنصاري».

ويجمع المؤرخون على أن معنى كلمة تمبكتو هو «حافظة الأمانات» وهو مأخوذ من اسم امرأة من الطوارق اسمها (تمبكتو)

عرفت عَرَفَت "تمبكتو"، خلال القرن السادس عشر نشاطًا كبيرًا لحركة التعليم، وقد ضمت مدارسها العديد من الطلاب والمعلمين، كما شهدت المدينة لأول مرة في تاريخ السودان الغربي اتساعا في حركة التعليم الجامعي وتوارد عليها في تلك الأثناء عدد من العلماء من بلدان المغرب المجاورة، والذين ساهموا في تنشيط التعليم وتعميقه، وفي تلك الفترة بدأ العلماء من غرب أفريقيا في الإنتاج فكتبوا شروحًا لعدد من المؤلفات

أي حافظة الأمانات، كانت تقطن في الموقع الذي تأسست عليه المدينة فيما بعد، وكانت هذه المرأة تحفظ للسكان الرحل الأمانات والودائع والأمتعة فاشتهر بها المكان وغلبت التسمية على المدينة بعد ذلك. وإذا كان الطوارق قد سموا "تمبكتو" بهذا الاسم لارتباطها عندهم بالعجوز بكتو حافظة الأمانات، فإن القواميس الإنكليزية تفسر هذه التسمية بأنها المكان القصي الذي لم تطأه قدم البشر ولم يدركه بصر.[٣] والطوارق المُتحدَّث عنهم هنا هم مجموعة من القبائل التي تسكن منطقة الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا، وتتوزّع أماكن تواجد تلك القبائل في عدّة دول عربيّة وإفريقيّة بين وسط وجنوب تلك الصحراء. يعتبر الطوارق هم السكّان الأصليّون لمنطقة غرب الصحراء الكبرى، بالإضافة إلى العديد من القبائل البربريّة الأخرى الّتي دخلت في الإسلام مع الفتوحات الإسلاميّة لتلك المناطق بقيادة عقبة بن نافع، ومنهم: طارق بن زياد القائد الإسلامي الشهير في التاريخ .

حاضنة الإسلام في غرب أفريقيا

واحة "تمبكتو" هي حاضنة الإسلام في الصحراء الكبرى ومنارة للعلم فيها ومجمع العلماء وهي من أشهر المدن في غرب أفريقيا خاصة منذ القرن الثالث عشر، وسكانها جميعهم مسلمون وأشهر القبائل التي تقطن المنطقة هم «قبيلة الأنصار»، التي ظهر فيها المجاهد «محمد علي الأنصاري» والذي اغتيل في عام ١٨٩٧، و «قبيلة السنغاي»، والتي هي في الأصل مملكة نشأت في غرب الساحل الأفريقي، امتد حكمها من ١٤٦٤ إلى ١٥٩١م، ويُشكل أبناؤها أغلبية السكان وكذلك القبائل المتفرعة من «الأشراف الأدارسة»، أحفاد إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، والذي يُعد أول قادم على المغرب، من ذرية الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء (رضي الله عنهما). وقد أشترى هؤلاء، أي الأدارسة، منطقة شمال النهر من أحد ملوك مالي السابقين وبعض القبائل ذات الأصول العربية مثل الطوارق والبرابيش وغيرهم.[٤]

الموقع ومميزات المدينة

خلبت وأبهرت "تمبكتو" ألباب الرحالة الأوروبيين، كما أكدت ذلك الروايات التاريخية، حتى أن منهم من ضل الطريق إليها، ومنهم من حالفه الحظ في الوصول إليها واستكشافها، وقرر البعض المكوث بين أهلها. وتقع المدينة على نهر النيجر، وكانت فيما مضى من الزمان تتميز بحشائش السافانا التي اختفت جراء التصحر اليوم، فلم تعد الأعشاب تنبت فيها نظرًا إلى ندرة الأمطار.

يمكن لزوار المدينة الاستمتاع برحلات ركوب الجمال، حيث تعد الجمال وسيلة المواصلات التقليدية والأكثر شيوعا في تمكبتو وما حولها. ومما يميز "تمبكتو" أيضا بيوتها ومساجدها

الطّينيّة التي شُيّدت من الرّمال الآتية من محيطها الصحراوي الذي تتواجد فيه، وقد صُنّفت مساجد الطّين في "تمبكتو" كإحدى صور التراث الإنساني التي يجب الحفاظ عليها.

التركيبة الديموغرافية

تقطن مدينة "تمبكتو" قبائل زنجية من أصول متعددة وبطون عربية قدمت إليها عبر العديد من موجات الهجرة الآتية من الجزائر وموريتانيا والمغرب تحديدًا، وأيضًا من القبائل العربية المهجرة من الأندلس، ومن سكان المدينة الطوارق، وهم أيضًا ينحدرون من قبائل عدة. وبأخذ فكرة التلاقح الحضاري في الاعتبار، فقد انصهرت في "تمبكتو" أعراق كثيرة، فأصبح سكانها مزيجًا متجانسا من العرب والأمازيغ والطوارق وقبائل السنغاي والفلان والبمبره، ويتعايش الجميع على أرضها تمامًا كما تتعايش فيها رمال الصحراء وإبلها وحرها اللافح مع مياه نهر النيجر وعذوبتها وزوارقها والخضرة المحيطة بها. وينشط سكان المدينة بنظام غريب، «فللعرب نشاط التجارة»، و»للطوارق» الترحال والرعي وتربية المواشي، و«للسنغاي» النهر والصيد والأسماك والزوارق ونقل المسافرين عبر النهر.

التطور الحضاري فى "تمبكتو"

كان القرن السادس عشر الميلادي هو الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية أوجها في السودان الغربي، وذلك عبر تطورات متلاحقة معتمدة على عنصرين أساسيين هما «التجارة والتعليم»، وكانت المظاهر الحضارية في السودان الغربي تزداد ازدهاراً في كل حقبة على مستوى المدن التي تتلاءم مواقعها مع توارد قوافل الشمال عليها في الدرجة الأولى، وهو ما جعل من المدينة محطة القوافل الأولى في جميع بلاد السودان، فسكنها كثير من التجار وقصدها جمع غفير من العلماء والطلاب، مما حولها إلى عاصمة للعلم والثقافة والتجارة في السودان الغربي الأفريقي كله. ووصفت مدينة "تمبكتو" في تلك الحقبة بأم مدائن السودانيين سواء في العلم والحضارة أو في العمران والتجارة. (٥)

وخلال القرن السادس عشر، أصبح سكان "تمبكتو"، يزيدون على خمسة وثلاثين ألف ساكن، والتي كانت العاصمة السياسية للإمبراطورية السنغانية، والتي كانت "تمبكتو" آنذاك إحدى مدنها الكبرى.

وفي تلك الأثناء أصبحت "تمبكتو" العاصمة الثانية للإمبراطورية في ميداني الاقتصاد والثقافة معًا، حيث انتظمت شوارعها، وأحيطت بسور واق ومؤمَّن، أما المنازل فقد ازدانت تزيّنت نسبة كبيرة من مبانيها بواجهات في شكل زرائب أو حدائق صغيرة تربطها إلى حيطان البيوت سياجات، وقد احتوت في تلك الأثناء على ثلاثة مساجد كبيرة ما لم يتهيأ لغيرها من كبريات مدن السودان الغربي آنذاك وأخذت أسواقها طابعها الإسلامي، وشهدت تواردًا نشطًا للقوافل الكبيرة عليها ما زاد حركة التبادل.

كان القرن السادس عشر قد شهد نشاطًا كبيراً لعلاقات "تمبكتو" التجارية مع بلدان المغرب ومصر، فقد أصبح خلاله أيضًا مركزاً هامًا من مراكز الإنتاج الثقافي ضمن ميدان الحضارة الإسلامية الفسيح. وهكذا لم يقتصر دور مدينة "تمبكتو" على مجرد التبادل مع جزء من العالم الإسلامي، وإنما تجاوز ذلك إلى استيعاب ما أنتجه العالم الإسلامي ككل، والمشاركة في تنميته ونشره بين أمم السودان الغربي وشعوبه.

في ذاكرة تاريخ العلم والتعليم

عَرَفَت "تمبكتو"، خلال القرن السادس عشر نشاطًا كبيراً لحركة التعليم، وقد ضمت مدارسها العديد من الطلاب والمعلمين، كما شهدت المدينة لأول مرة في تاريخ السودان الغربي اتساعا في حركة التعليم الجامعي وتوارد عليها في تلك الأثناء عدد من العلماء من بلدان المغرب المجاورة، والذين ساهموا في تنشيط التعليم وتعميقه، وفي تلك الفترة بدأ العلماء من غرب أفريقيا في الإنتاج فكتبوا شروحًا لعدد من المؤلفات الهامة التي ألفها أقرانهم من بلاد الإسلام الأخرى، وانقسم التعليم في "تمبكتو" خلال القرن السادس عشر إلى مراحل

ثلاث: ابتدائية وثانوية وعليا.

أما عن أسلوب التدريس، فيقسم العلماء والمدرسون أوقاتهم خلال النهار فمثلاً في الصباح دروسًا لطلاب في المستوى الثانوي، ثم يجلسون بعد الظهر لطلاب المرحلة العليا أو العكس، ومن هنا يبدو الانتظام في المراحل التي يمر بها الطالب من حيث التدرج في مستويات التعليم بين المراحل ووجود منهج لكل مرحلة.

أما عن أمكنة التدريس الأساسية فهي المساجد والجوامع، وكان من أشهرها وأكثرها اكتظاظًا بجموع الطلبة والمدرسين جامع سنكرى الواقع في القسم الشمالي من مدينة "تمبكتو"، وقد بنته سيدة فاضلة ورد في الروايات أنها كانت من الموسرات، ثم جامع دنفريير، وكان قد بناه في الأصل لكانكان موسى سلطان مالي وهو من أهم زعماء إمبراطورية مالي، ثم ادخلت عليه تحسينات ووسعت مساحته مرتين خلال القرن السادس عشر وذلك ليتسع لجموع قاصديه من الطلبة والمصلين، ويبدو أن تكاثر الازدحام عليه هو الذي كان يدعو باستمرار إلى العمل على توسعته، ويأتي بعد هذين المسجدين مسجد سيدي يحيى وقد بني تخليدًا لأحد علماء المغرب الذين باشروا التعليم في "تمبكتو" خلال النصف الأول من القرن السادس عشر.[٦]

المساجد في "تمبكتو"

تضم مدينة تُمبكْتُو مجموعة من المساجد العريقة التي ظلت على مدى قرون مراكز تعليمية إسلامية كبرى ومراكز تربوية مهمة، وأشهرها جامع "تمبكتو" الكبير الذي يعد من أقدم وأكبر مساجد المدينة التاريخية في غربي أفريقيا، وقد بني الجامع الكبير بصورة متواضعة تتناسب مع حجم سكان المدينة في تلك الفترة، وقد جدد بناءه السلطان المالي الحاج منسا موسى سنة (١٣٣٢م)، وكان قد بنى صومعته بعد عودته من الحج سنة (١٣٢٤م) وهو الوقت الذي ضم فيه مدينة "تمبكتو" إلى مملكته، وقد ظل هذا المسجد موضع عناية كثير من السلاطين والحكام الذين تعاقبوا على حكم مدينة "تمبكتو"، فقد مر بعدة إصلاحات من حسن إلى أحسن، كما عرف ترميمات وتَوْسِعات تقتضيها الظروف وزيادة السكان والثروات المتوافرة وتطور العمران، ويشتمل المسجد من الداخل على خمسة وعشرين صفًا من العمد، تمتد من شمالية إلى جنوبية، وعلى ثمانية صفوف ممتدة من الشرق إلى الغرب، وقد شُيدت أهم أجزاء المسجد بالحجر كالعقود، وشُيد الجانب الغربي والمحراب وبعض أجزاء الكساء الخارجي والسقف من الخشب المتين، وللمسجد صحنان، أحدهما واسع والآخر صغير متصل بالمئذنة، ويعتبر هذا المسجد الجامع من المعالم الأثرية البارزة لمدينة "تمبكتو" الإسلامية التاريخية.

وتضم أيضًا مسجد سَنكُري وهو حي من أحياء المدينة، كما تضم مسجد سيدي يحيى التادلسي، وكانت هذه المساجد الثلاثة بصفة خاصة معاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية مهمة، فكانت المرحلة العليا من التعليم فيها تشبه ما كان في الأزهر قديمًا وما هو كائن اليوم، إذ إن حلقات الدراسة ما زالت تُعقد في الجامع الأزهر وينتظم فيها طلاب معهد الدراسات الإسلامية الذين يُمنحون شهادة الإجازة العالية ''الليسانس'' تمامًا كزملائهم الذين يتخرجون في كليات جامعة الأزهر الحديثة المختلفة [٧].

الهوامش:

- محمد بن عمر التونسي، "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان"

٢- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ٠٢٣

٣-Oxford Advanced American Dictionary

٤- Boston University Library, West African Islam, page ٤٢-٤٥

٥- راجع: إدوارد بوفيل، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة رياض زاهر، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٠١-١٧، القاهرة ٨٦٩١.

٦- أشرف فؤاد عثمان أدهم،"تمبكتو" في التراث الإسلامي الإفريقي، مجلة فكر الثقافية، بتاريخ ٦١ يونيو ٨١٠٢

٧- عبد الرحمن السعدي، كتاب تاريخ السودان، ص٠٢٣

قراءة في كتاب «أَوَكُلَّمَا اشْتَهَيْتَ اشْتَرَيْتَ؟!»

أمل عبد الجليل

في الآونة الأخيرة بات الاستهلاك المفرط هدفا في حد ذاته، وصرنا نرتقب كل عام مناسبات للاستهلاك الفاحش كاليوم المسمى بـ «الجمعة السوداء»، في هذا اليوم تقوم أغلب المتاجر بتقديم عروض وخصومات كبيرة، حيث تفتح أبوابها في وقت مبكر جدا حتى قبيل طلوع فجر الجمعة، مما يضطر أغلب المستهلكين إلى افتراش الأرض أمام أبواب المتاجر ارتقابا لساعة الصفر، وعند الافتتاح تأخذ الجموع الغفيرة من المستهلكين في التسابق، وكلٌ يسعى للحصول على النصيب الأكبر من البضائع المخفضة الثمن، حتى لو لم يكن بحاجة إليها على الأغلب[1]. وعلى الرغم من وفرة العروض الباذخة والتخفيضات في الأسعار بنسَبٍ كبيرة قد تبلغ نصف السعر السابق في كثير من الأحيان، إلا أن كل تلك التخفيضات لم تُروِ ظمأ المستهلكين، ولم تُخمِد أوار رغبة استهلاكهم تلك، فما عساه يكون السر يا ترى؟! وأي ضرر قد يلحق المرء من استهلاكه المفرط للأشياء؟! سيكون هذا موضوع

إن أول ما يلفت أنظار القراء في هذا الكتاب عنوانه، وهو يذكرنا بمقولة منسوبة لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، إذ مَرَّ جَابِرٌ بن عبد الله عَلَى عُمَرَ بن الخطاب (رضي الله عنهما) بِلَحْمٍ قَدِ اشْتَرَاهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: اشْتَرَيْتُهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟ أما تخشى أن تكونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ...﴾

قراءتنا لهذا الشهر، وكتاب بعنوان «أوكلما اشتهيت اشتريت؟!»

نظرة عامة

كتاب «أوكلما اشتهيت اشتريت؟!» لمؤلفه «عمر محمد الجعيدي»، كتاب خفيف سهل الفهم بسيط الأسلوب، ميسور لفهم عموم الناس. ومن جهة التشجيع على نهج الادخار فهو يوصل الفكرة بطرق مختلفة مستخدمًا وسائل عدة ومستدلا بدلائل شتى. قد لا يشكل الكتاب فائدة ذات بال بالنسبة للمتخصصين في مجالات التنمية البشرية وتطوير الذات، ولكنه بلا شك يكون ملهما للمبتدئين.

الأمثلة التي يزخر بها الكتاب جميلة وفي صلب الموضوع.

إن أول ما يلفت أنظار القراء في هذا الكتاب عنوانه، وهو يذكرنا بمقولة منسوبة لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، إذ مَرَّ جَابِرٌ بن عبد الله عَلَى عُمَرَ بن الخطاب (رضي الله عنهما) بِلَحْمٍ قَدِ اشْتَرَاهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: اشْتَرَيْتُهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟ أما تخشى أن تكونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ...﴾ (الأحقاف: ٢١)»[٢].. وبغض النظر عن مدى صحة الرواية من حيث السند، فهذا ليس موضوع القراءة، بيد أنه من المتفق عليه أن الصبر على إشباع شهوة الاستهلاك يأتي بنتائج طيبة على المدى البعيد قطعا.

يتناول الكتاب موضوع التحكم في الرغبات الاستهلاكية وكيفية بناء عادات مالية ذكية تسهم في تحسين إدارة الأموال والابتعاد عن الشراء العشوائي أو غير الضروري. ويركز المؤلف على تقديم نصائح عملية للتخلص من العادات الاستهلاكية السيئة.

دروس عشرة مستفادة

الدرس الأول: تحكم في رغباتك الاستهلاكية، فلا تدع الإعلانات التسويقية تدفعك إلى شراء أشياء لا تحتاج إليها. بدلاً من ذلك، اسأل نفسك قبل كل عملية شراء: هل هذا الشيء ضروري بالفعل أم أنه مجرد رغبة عابرة؟! وتجنب التسوق العاطفي الذي يعتمد على الحال المزاجية، كأن تمارس الشراء عند الشعور بالتوتر أو السعادة.

والدرس الثاني: ضع خطة مالية، بأن تقوم بكتابة ميزانية شهرية تتضمن دخلك ومصاريفك الأساسية (الطعام، السكن، الانتقالات، المرافق، وغيرها). فمن شأن الالتزام بهذه الميزانية أن يحافظ على استقرارك المالي. ولتتضمن تلك الميزانية تحديد مبلغ معين للإنفاق على الأمور الترفيهية أو غير الأساسية، على أن تلتزم بهذا المبلغ دون تجاوزه.

والدرس الثالث: فكر في القيمة لا السعر، فعند شراء أي منتج، ركز على القيمة التي سيقدمها لك على المدى الطويل، ولا يكن همك مجرد انخفاض سعرها. ومن الأفضل بذل المال في منتجات ذات جودة عالية تدوم طويلاً بدلًا من إنفاقه على المنتجات الرخيصة التي تتلف بسرعة فيكلفك إصلاحها أو استبدالها أضعاف ثمن المنتج الجيد! باختصار، تذكر المقولة الدارجة: "الغالي ثمنه فيه، والرخيص غالٍ".

الدرس الرابع: تجنب الإغراءات التسويقية فلا تقع في فخ العروض الترويجية الشائعة، من قبيل: «اشترِ قطعة واحدة، واحصل على الأخرى مجانًا» أو التخفيضات الكبرى التي قد تدفعك إلى ما لست محتاجا إلى شرائه فعلا. وامنح نفسك وقتًا كافيا قبل اتخاذ قرار الشراء، وابتعد عن الشراء الفوري أو القرارات السريعة.

الدرس الخامس: أجِّل عملية الشراء ما لم تكن ضرورية. حاول تأجيل قرار الشراء لمدة ٢٤ ساعة أو أكثر قبل اتخاذ القرار النهائي. قد تجد بعد التفكير أنك لا تحتاج إلى هذا المنتج من الأساس. هذا الأسلوب يساعد في تقليل الشراء العاطفي والاندفاعي.

الدرس السادس: استثمر في تجارب حياتية وليس في الأشياء فعِوَضًا عن إنفاق أموالك على شراء أشياء مادية، فكر في الاستثمار في تجارب حياتية مثل تعلُّم مهارات جديدة، فتلك المهارات هي التي تضيف قيمة معنوية أكبر إلى حياتك، وقيمة المرء بقدر ما يعلمه ويعمل به، لا بقدر ما يقتنيه ويمتلكه من متاع.

الدرس السابع: تعلم من أخطائك السابقة، وذلك بأن تراجع قائمة مشترياتك السابقة، ثم تحدد الأشياء التي كنت قد اشتريتها ثم اكتشفت لاحقا أنك لم تكن بحاجة إليها. استفد من هذا الدرس في تفادي الوقوع في نفس الخطأ مستقبلاً.

الدرس الثامن: اجعل حياتك أبسط، فتجنب تكديس الأشياء التي لا تحتاج إليها، واعمل على تبسيط حياتك من خلال شراء ما هو ضروري فقط. ذلك لا يحسن وضعك المالي فحسب، بل يعزز من راحتك النفسية أيضًا.

الدرس التاسع: استمتع بما لديك. ركز على الاستمتاع بما تملكه حاليًا بدلاً من السعي المستمر للحصول على أشياء جديدة. هذا سيورثك الرضا بما قسمه الله لك، وسيساعدك على تقدير قيمة الأشياء وكبح شهوة الرغبة في الشراء.

الدرس العاشر: كن ممتنًّا، بأن تُقدّر النعم التي تزخر بها حياتك ولم تكن تراها من قبل، وحاول أن تشعر بالامتنان بدلاً من الانغماس في التفكير في ما ينقصك.

الهوامش:

١. سامح مصطفى، يوم دون شراء، مجلة التقوى، عدد نوفمبر ٢٠١٩

٢. أخرجه أحمد في الزهد (٦٥٣)، وابن أبي شيبة (٢٤٥٢٤)

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 38 - Issue 7, November 2025

www.altaqwa.net